وجود اللّه تعالى عند المتكلمين والرد على أهم دوافع المنكرين

الدُّكْتُوْر

أشرف أحمد محمد محمد عماشة

مدرس العقيدة والفلسفة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بدمياط الجديدة جامعة الأزهر

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبينا محمد وآله ومن تبعهم بإحسان. ... وبعد:

لقد شغلت قضية وجود الله الفكر الإنساني عبر مراحله المختلفة، واحتلت مكانًا كبيرًا لدى المفكرين، بخاصة لدى المسلمين، وكان الدافع لهم هو ترسيخ العقيدة عند المسلمين، أو تحليل الوجود ورده لمصدره الأصلي عند غيرهم.

ومن ثم فمسألة وجود الله سبحانه وتعالى تأتي في مقدمة القضايا العقدية بصف عامة، لأنها أساس بنائها، وركيزة قوامها، وبدون معالجتها على نحو سليم تنهار العقيدة بالكلية.

وقد ذكرت في المبحث الأول "وجود الله تعالى عند المتكلمين"، وبدأت بدليل الحدوث، وهو من أشهر أدلة المتكلمين على وجود الله، وعدته الأشاعرة أقرب دليل معبر عن مراد الشرع والقرآن، ويقوم هذا الدليل على الصلة بين الأسباب والمسببات أو العلة والمعلول، وكل معلول له علة، حتى تصل إلى علة أولى محدثة وهي الله، بالإضافة إلى دليل قياس الغائب على الشاهد، ودليل خلق الإنسان ودليل خلق الكون، وختمت هذا المبحث بدليل العناية والحكمة والاختراع .

وفي المبحث الثاني، وهو بعنوان: "**أهم دوافع المنكرين لوجود الله تعالى والرد عليها**"، ذكرت دوافع الإنكار كالإلحاد والقول بالصدفة، وتناولت أسس المعارضين لوجود الله، والرد عليها، وأوضحت بعضًا من أدلة العلم الحديث لإثبات حقيقة وجود الله.

ينتظم هذا في بحث عنوانه: (وجود الله تعالى عند المتكلمين والرد على أهم دوافع المنكرين).

*** أسباب اختياري للبحث وأهدافه:** وقد استعنت بالله عز وجل في أن أقوم بدراسة هذا الموضوع، وكان الباعث على اختيار موضوع البحث عدة أسباب منها:

١- ضرورة الدفاع عن القضايا الدينية في هذا العصر الذي بلغ فيه التقدم العلمي والمادي ذروته، وأصبحت المادة هي المسيطرة والمهيمنة على عقول أصحاب التقدم العلمي وأفكارهم، مما دفعهم إلى إنكار الدين.

٢- عدم معرفة كثيرين بجهود كثير من المتكلمين في قضية وجود الله، وبيان أدلتهم ومدى الحاجة إليها.

٣- ضرورة التصدي للملحدين، وكيفية الرد عليهم بأسلوب ومنهج عصري يقوم على النقل والعقل معًا مستخدمين نتائج العلم الحديث.

*** منهج البحث:** يستخدم البحث المناهج التالية: المنهج النقدي والوصفي والاستدلإلى .. ويمكن بيان أسلوب البحث في النقاط الآتية:

١ــ جمعت النصوص التي تدور حول الموضوع المراد دراسته وحصرها

٢ــ قمت بتخريج الأحاديث من مصادر السنة الأصلية.

٣ ــ جمعت النصوص القرآنية التي لها صلة بالموضوع المراد دراسته وحصرها، مع معرفة تفسيرها من الكتب المختصة بذلك.

٤ــ جمعت أقوال العلماء التي لها صلة بالموضوع المراد دراسته من الكتب المختصة بذلك.

٥ قمت بدراسة النصوص التي جمعت دراسة موضوعية متكاملة، وفهم المراد منها فهمًا صحيحًا.

٦ــ اطلعت على كتب العلماء السابقين التي لها صلة بالموضوع المراد دراسته؛ للاستفادة منها.

٧ــ ربطت الموضوع بالواقع المعاصر.

٨ــ راعيت التسلسل في عناصر الموضوع حتى يخرج الموضوع في صورة متكاملة.

٩ــ عمدت في نهاية البحث إلى استنباط النتائج والتوصيات التي استخرجتها من خلال هذه الدراسة، ثم قمت بعمل الفهارس التي تسهل الرجوع لموضوعات البحث.

خطة العمل:

يتضمن هذا البحث مقدمة، ومبحثين ، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة فأتناول فيها: افتتاحية البحث، وأهميته، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما المبحث الأول وجود الله تعالى عند المتكلمين.

وأما المبحث الثاني فأتناول فيه أهم دوافع المنكرين لوجود الله تعالى والرد عليها.

وأما الخاتمة فأذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات في أثناء عملي في البحث.

وأخيرًا: فهارس عامة للمصادر والمراجع والموضوعات.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله علي سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
وجود اللّه تعالى عند المتكلمين

تمهيد

إن القرآن الكريم قد تحدث عن الكون وخلقه وبين أن الله هو خالقه وموجده، وقد أمر القرآن الكريم الإنسان بالنظر والتفكير في هذا الكون للوصول إلى الخلق والمبدع، فقال تعالى (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنظر عن قوم لا يؤمنون) سورة يونس ١٠١

وقال تعالى (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) سورة آل عمران آية ١٩٠

والعالم بسماواته وأرضه مخلوق لله كما صرح بذلك القرآن الكريم في مواضع كثيرة، قال تعالى: (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض) سورة الأنعام آية ١ . وقال تعالى(إن في خلق السماوات والأرض) سورة البقرة آية ١٦٤

وكذلك فإن القرآن قد ذكر خلق الإنسان والأنعام والحيوان والنبات، وأخبر القرآن أن الله هو الخالق لكل شيء السماوات والأرض والإنسان والحيوان والنبات، فقال تعالى: (الله خالق كل شيء) سورة الزمر آية ٦٢؛ فالكون شيء، والله هو خالق كل الأشياء، فالكون مخلوق لله وهو موجده من العدم.

ولقد قرر القرآن الكريم حقائق كثيرة تتعلق بالكون، أهمها أن هذا العالم حادث مخلوق وكل ما فيه من الكائنات له بداية ونهاية، ولا يوجد موجود أزلي أبدي إلا الله، فقال تعالى: (هو الله الخالق البارئ المصور) سورة الحشر آية ٢٤، وقال تعالى (هو الأول والآخر) سورة الحديد آية (٣)

وترجع إليه الموجودات كلها من حيث هو علتها الأولى [١]؛ فالكون كله له بداية ونهاية، ومادام الله هو موجده فلا يتقدم عليه ولا يساويه، فالله هو الأول، أي: الموجود قبل كل شيء؛ فلا أول لوجوده، والآخر، أي: الباقي بعد نهاية كل شيء؛ فلا نهاية له.

وكلمة "خلق" كلمة عربية استعملت في القرآن؛ للدلالة على قدرة الله في الخلق، وهي لا تشمل الخلق الأول من العدم فحسب، بل تشمل خلق العالم والإنسان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون[٢]، والخلق في اللغة التقدير[٣]، واصطلاحًا إيجاد الشيء من عدم أو من شيء سابق، فهو مجرد صنع وإحداث [٤].

فهذا يبين أن الخلق هو إيجاد من عدم، ولما كان العالم مخلوقًا فهو موجود بعد العدم فهو حادث، فلا شيء في هذا الكون غير مخلوق، بل كل شيء مخلوق لله وموجود قد سبقه العدم، يقول تعالى: (الله خالق كل شيء) الزمر ٦٢.

ولقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض) [٥]، وأشار بقوله: (وكان عرشه على الماء) إلى أن الماء والعرش

---

(١) راجع الإنسان والكون في الإسلام د.محمد أبو الوفا التفتازاني ، دار الثقافة القاهرة ١٩٧٥ م. ص ٤٦

(٢) راجع دائرة المعارف الإسلامية دي بور مادة (خلق) المجلد الثامن ص ٤٠٩

(٣) القاموس المحيط : الفيروزابادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م. ج ٣ ص ٢٢١

(٤) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٣ م ص ٨١

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ، كتاب بدء الخلق، رقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقي أخرجه وصححه محب الدين الخطيب، دار الفكر ٢٨٦/٦

كانا مبدأ هذا العالم؛ لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء [١].

فهذا يدل على أن العرش والماء موجودان قبل خلق السماوات والأرض إلا أنهما مخلوقان قبلهما، فالعالم ـــ إذاً بمادته وصورته ـــ حادث مخلوق من لا شيء، أي: من عدم.

وعن أبى رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال "كان في عماء[٢] ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء"[٣].

قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: العماء، أي: ليس معه شيء[٤].

فالله موجود قبل خلق الأشياء ، وإن كان العرش والماء موجودين قبل خلق السماوات والأرض فلا يعنى ذلك أنهما أزليان، بل هما مخلوقان، ولكن تقدم خلقهما خلق السماوات والأرض.

وأخبر القرآن عن أن الله هو الذي فطر السماوات والأرض، وأنه بديعهما، فقال تعالى: (إنى وجهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض) الأنعام ٧٩.

---

(١) فتح الباري : ابن حجر ٢٨٩/٦

(٢) والمقصود بالعماء: السحاب المرتفع وقيل الكثيف. وقيل هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال.

(٣) سنن ابن ماجة ج١ص ٧٨، باب فيما أنكرت الجهمية ، دار إحياء الكتب العربية

(٤) الجامع الصحيح الترمذى كتاب تفسير القرآن سورة هود ح(٣١٠٩) ج٥/ ٢٦٩ تحقيق كمال يوسف الحوت – دار الفكر – بيروت ١٩٨٨م.

وقال تعالى: (فاطر السماوات والأرض) يوسف ١٠١، فهنا يبين القرآن أن الله هو خالق السماوات وأنشأهما، فهما حادثتان.

وذكر القرآن الكريم أن الله خالق هذا الكون ومبدعه، فقال تعالى: (بديع السماوات والأرض) سورة البقرة آية ١١٧. وبديع من بدع وأبدع الشيء: اخترعه لا على مثال، و"الله بديع السماوات والأرض"، أي: مبدهما، والبديع المبتدع[١].

فالإبداع إيجاد الشيء من لا شيء[٢]، فالله هو مبدع الكون وخالقه من لا شيء، وهذا يدل على أن الإبداع أعم من الخلق، وهو يؤكد الخلق والإيجاد من عدم.

الدليل الأول: دليل الحدوث عند المتكلمين

ارتبط إثبات وجود الله تعالى لدى المتكلمين عمومًا والمعتزلة خصوصًا بحدوث العالم، وبيان افتقاره إلى محدث قديم؛ وهو الله تعالى.

ولما كان دليل الحدوث هو عمدتهم في إثبات وجود الله تعالى بنى المعتزلة هذا الدليل على أربع مقدمات أو دعاوى.

وهي كما يقول القاضي: أن في الأجسام معاني هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون.

إن هذه المعاني محدثة.

أن الجسم لم ينفك عنها، ولم يتقدمها.

أنه إذا لم ينفك عنها، ولم يتقدمها وجب حدوثه مثلها[٣].

---

(١) مختار الصحاح : محمد بن أبى بكر الرازى ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، مطبعة الحلبى . ص٤٣ .

(٢) التعريفات للجرجانى تحقيق إبراهيم الإبيارى دار الريان للتراث ١٩٨٣م. ص٢١.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار تحقيق د. عبد الكريم عثمان ط مكتبة وهبة ط ٣ ص ٩٥.

وأول من استدل بهذه الدعاوى على حدوث العالم وبيان افتقاره إلى محدث قديم هو أبو الهذيل العلاف، وهذا ما أكده أئمة المذهب المعتزلي أنفسهم كالقاضي عبد الجبار، وتلميذه أبو رشيد النيسابوري(١)؛ إذ قال في كتابه (ديوان الأصول) ما نصه: اعلم أن أول ... من أثبت الدلالة المبنية على الدعاوى الأربع في حدوث الجسم هو أبو الهذيل، ثم تبعه على ذلك سائر شيوخنا"(٢).

وهذه الدعاوى التي قدمها العلاف، والتي سماها الأشاعرة بعد ذلك أصولًا، أثبتوا حدوث العالم وافتقاره إلى محدث، وهذا المحدث لا بد أن يكون قديمًا، حتى لا يتسلسل المحدثون ومحدثو المحدثين إلى ما لا نهاية.

فإثبات حدوث العالم عند المعتزلة لا يكون إلا بالعقل؛ لأن صحة السمع تترتب عليه، فمن طريق حدوث العالم نعلم أن له محدثًا هو الله تعالى، ثم نعلم صحة ما أنزله على عباده.

فأفعال الله تعالى هي الدليل على وجوده عند المعتزلة، وهي ــ كما يقول القاضي ــ على ضربين: أحدهما يدخل جنسه تحت مقدورنا، والآخر لا يدخل جنسه تحت مقدورنا.

---

(١) هو: أبو رشيد سعيد بن محمد بن سعيد النيسابوري، بغدادي المذهب، كان من أهم تلاميذ القاضي، واحتل عنده مكانة كبيرة، حتى صار من أصحابه، وإليه انتهت الرياسة بعد رحيل القاضي، فكان على رأس الطبقة الثانية عشرة، مارس نشاطه الفكري في (الري) وتوفي بها سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، من أهم مؤلفاته في التوحيد، ديوان الأصول، والمسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، راجع: باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل لابن المرتضى الزيدي دار المطبوعات الجامعية إسكندرية ص ٦٩.

(٢) في التوحيد: ديوان الأصول لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابوري ص ١٠ تحقيق د/محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩م، وراجع: مقدمة محقق الكتاب ص ٤٠.

وما لا يدخل جنسه تحت مقدورنا فثلاثة عشر نوعًا: الجواهر، والألوان، والطعوم، والروائح، والحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، والحياة، والقدرة، والشهوة، والنفرة، والفناء.

فهذه كلها مما يستدل به على الله ما عدا الفناء؛ فإن طريق معرفته السمع، وذلك يترتب على معرفة الله تعالى.

وأما الضرب الذي يدخل جنسه تحت مقدورنا فعشرة أنواع: خمسة من أفعال الجوارح، وخمسة من أفعال القلوب.

فالخمسة التي من أفعال الجوارح هي: الأكوان، والاعتماد، والتأليفات، والأصوات، والآلام.

وأما الخمسة التي هي من أفعال القلوب فهي: الاعتقادات، والإرادات، والكراهات، والظنون، والأنظار، ولا يمكن الاستدلال بها ولا بشيء منها على الله تعالى، إلا إذا وقع على وجه لا يصح وقوعه عليه منا، كالعلوم الضرورية التي من جنس العلم، فالعلم يقع تحت مقدرونا، لكن العلوم الضرورية تتم أردنا أم كرهنا، وكحركة المرتعش، فإن الحركة في الأصل في مقدرونا، لكنها في المرتعش اضطرارية(١).

أما عند السادة الأشاعرة فأقول: إن دليل الحدوث من أشهر أدلة المتكلمين على وجود الله، وعدته الأشاعرة أقرب دليل معبرًا عن مراد الشرع والقرآن(٢)، ويقوم هذا الدليل على الصلة بين الأسباب والمسببات أو العلة والمعلول، وكل معلول له علة، حتى تصل إلى علة أولى محدثة وهي الله(٣).

---

(١) ينظر شرح الأصول الخمسة ص٨٩ – ٩٢ والمحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار الدار المصرية للتأليف والنشر ص ٣٥، ٣٦. وراجع العقل ودوره في الاستدلال على وجود الله عند المتكلمين د/ سعيد الهواري بحث في مجلة كلية دراسات بنات بني سويف العدد الرابع عام ٢٠١٢ م صـ ٢٣.

(٢) راجع مشكلة السببية وعلاقتها بالغائية عند فلاسفة الإسلام : د/ فتحى حسنين السعدنى، رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية الآداب ، جامعة المنوفية ١٩٩٦م.ص١٥٧.

(٣) نفس المصدر ص١٥٧.

لقد سلك الأشعري طريقًا في إثبات وجود الله تعالى "يتميز بالبساطة والسهولة والبعد عن الأقيسة العقلية المركبة والمعقدة مما يجعله قريبًا من الفهم؛ حيث أسلوبه الإقناعى يتساوى أمامه الخواص والعوام»[١].

وهذه الطريقة لا تقوم على تقسيم الموجود إلى جوهر وعرض[٢] وبيان أحكامها، كما نجد ذلك عند الباقلاني وغيره[٣]، فنراه يطرح فكرته في إيمان الصانع بأدلة محسة ومشاهدة"[٤].

ولنقرأ الآن نص الأشعري؛ لنرى مصداقية ما سبق بيانه عنه، قال: "إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعًا صنعه ومدبرًا دبره؟ قيل له: "الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحمًا ودمًا وعظمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعًا ولا بصرًا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، ورأيناه طفلًا ثم شابا كهلًا ثم شيخًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم؛ لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك؛ فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه

---

(١) قضية الألوهية في الفكر الإسلامي أ.د/محمد العدل الباز ص ١٠٩، ط ١٩٨٦م.

(٢) الجوهر: عرفه المتكلمون بأنه ما قام بنفسه، ومعنى قيام الجوهر عندهم أن يتحيز بنفسه غير تابع في تحيزه شيء أخر، أما العرض فقد عرفه والأشاعرة بأنه: ممكن موجود قائم بمتحيز وهو الجوهر، راجع القول السديد في علم التوحيد الشيخ محمود أبو دقيقة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ص١٦٩- ١٧٢، انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد للجوينى ،تحقيق د. محمد يوسف موسى – د. علي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي مصر ١٩٥٠ ص١٧.

(٣) ينظر الباقلانى وأراؤه الكلامية د/محمد رمضان ، مطبعة الأمانة بغداد ١٩٨٦ ص٣١١.

(٤) ينظر مشكلة الخلق في الفلسفة الإسلامية، د/محمد نبيل طاهر ، رسالة دكتوراه كلية أصول الدين بالقاهرة، تحت رقم ٩٣٠ لسنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٢٩٧.

الأحوال، وأن له ناقلًا نقله من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه؛ لأنه لا يجوز انتقال من حال إلى حال بغير ناقل، ولا مدبر، مما بين ذلك أن القطن لا يجوز أن يتحول غزلًا مفتولًا، ثم ثوبًا منسوجًا، بغير ناسج ولا صانع ولا مدبر، ومن اتخذ قطنًا ثم انتظر أن يصير غزلًا مفتولًا، ثم ثوبًا منسوجًا بغير صانع ولا ناسج كان عن المعقول خارجًا، وفي الجهل والجاً، وكذلك من قصد إلى برية لم يجد فيها قصرًا مبنيًّا، فانتظر أن يتحول الطين إلى حالة الآجر، وينتضد بعضه على بعض بغير صانع، ولا بأن كان جاهلا، وإذا كان تحول النطفة علقة ثم مضغة ثم لحمًا ودمًا وعظمًا أعظم في الأعجوبة كان أولى أن يدل على صانع صنع النطفة، ونقلها من حال إلى حال"(١).

هكذا كان استدلال الإمام الأشعري خاليًا عن استخدام الجواهر والأعراض، وإن كان كلامه قد اتخذ أساسًا للقول بالجواهر والأعراض، إلا أنه هو لم يقل بها، فكان استدلاله قرآنيًّا نابعًا من آي الذكر الحكيم كما كان أيضا كونيًّا، مستخدما شواهد خلقة الإنسان وانتقاله من حال إلى حال على وجود خالق نقله من هذه الأحوال إلى أحوال أخرى، وهذه الأحوال وتلك التغيرات هي ما سماها متأخرو المتكلمين بالأعراض، "لكننا نلاحظ في نهاية دليله أنه أقام الحجة العقلية المنطقية على القول بالحدوث، فإن القديم لا يجوز انتقاله أو تغيره، إلا جرت عليه سمات الحدوث، فإن التغير والانتقال من سمات الحوادث، والمشاهد من الحوادث تجري عليه هذه السمات من تغير وانتقال وتبدل أحوال، فهو إذًا حادث، فالعالم إذًا بجميع أجزائه حادث، وليس قديمًا"(٢).

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع الإمام أبو الحسن الأشعري، ص٨- ٢٠، صححه وقدم له وعلق عليه. د/ حموده غرابة، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) ينظر مشكلة الخلق في الفلسفة الإسلامية د/محمد نبيل طاهر ص٣٠٠، ٣٠١.

وهذا الدليل قد استخدمه المتكلمون وأثبتوه للوصول إلى محدث العالم وخالقه وهو الله عز وجل معتمدين على مقدمات أربع، وهذه المقدمات قال بها المعتزلة والأشاعرة معًا، وهي:

(١) إثبات الأعراض.

(٢) إثبات حدوثها.

(٣) استحالة تعري الجواهر عن الأعراض، وإثبات ذلك.

(٤) استحالة حوادث لا أول لها وإثباته [١].

أولا: إثبات الأعراض

تجدر الإشارة إلى أن العالم هو كل موجود سوى الله تعالى وصفة ذاته، وهو جواهر وأعراض والدليل على إثبات الأعراض: حركة الجسم بعد سكونه، وسكونه بعد حركته، وحركته إما تكون من ذاته وإما من علة أخرى، ولا يمكن أن تكون حركته من ذاته؛ لأن الجسم في حالة سكونه كان غير متحرك، فظهر أن حركته من شيء غير ذاته[٢] وكذلك قرب الجسم من الجسم الآخر أو بعده عنه، وكلا الأمرين جائز عليه، واختصاصه بأحدهما دون الآخر يوجب معنى به يصير قريبًا أو بعيدًا[٣].

فالمتكلمون يثبتون وجود الأعراض بحركة الجسم أو سكونه واستحالة اجتماع الضدين، وعدم حركته من ذاته؛ لأنها لو كانت من ذاته لتحرك في حال السكون، وذلك لم يحدث، فلا بدّ من معنى لتلك الحركة، وهو العرض.

---

(١) الإرشاد : الجوينى ، ص١٧-١٨.

(٢) انظر : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة للباقلانى. قدم له محمود محمد الخضيرى ، محمد عبد الهادى أبو ريدة دار الفكر العربى –القاهرة ص٤٢.

(٣) انظر المختصر فى أصول الدين للقاضى عبد الجبار ، ضمن رسائل العدل والتوحيد تحقيق د/محمد عمارة، دار الشروق بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م. ج٢٠٣/١.

ثانيا: إثبات حدوث الأعراض:

ذهب المتكلمون إلى إثبات حدوث الأعراض بعد إثبات وجودها، واستدلوا على حدوثها بأن الجسم إذا تحرك فقد طرأت عليه الحركة، ويدل طروء الحركة على حدوثها؛ لأن عدمها قد سبق وجودها، وانتفاء السكون بطروء الحركة يستلزم حدوث السكون؛ لطروء العدم عليه بعد وجوده، و إذا ثبت قدمه استحال عدمه، لكن العدم ثابت له فثبت حدوثه، وانتفي قدمه [١].

فهم ينتقلون من وجود الحركة بعد السكون، ووجود السكون بعد الحركة إلى جواز الوجود والعدم، وما يجوز عليه الوجود والعدم حادث، وليس قديمًا.

وقد رد الأشاعرة على القائلين بالكمون والظهور الذين يذهبون إلى أن الأعراض قديمة، وتكمن في الجوهر ثم تظهر، فيقول الجويني: "لو كان كذلك لاجتمع الضدان في المحل الواحد، وكما نعلم استحالة كون الشيء متحركًا ساكنًا، فكذلك نعلم استحالة اجتماع الحركة والسكون"[٢].

ويوضح الجويني أن الكمون والظهور يؤدي إلى اجتماع الحركة والسكون معًا في محل واحد، وهما ضدان، واجتماع الضدين في محل واحد محال، فوجب أن تكون الحركة والسكون حادثين، وبالتالي حدوث الأعراض.

وذهب القاضي عبد الجبار إلى حدوث الأعراض، وأنها يجوز عليها العدم، وهذا دليل حدوثها، فلو كانت قديمة لما جاز عليها العدم؛ لأن القديم لا يجوز عليه العدم[٣]، واستدل على أن الأعراض يجوز عليها العدم، فقال: "ما ثبت أن المجتمع إذا افترق بطل اجتماعه، وأن المتحرك إذا سكن بطلت

(١) انظر الإرشاد للجوينى ص٢٠.

(٢) نفس المصدر ص٢٠..

(٣) راجع القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٩٣.

حركته"[١]، واستدل على أن القديم لا يجوز عليه العدم فقال: "فهو ما قد ثبت أن القديم قديم لنفسه، والموصوف بصفة من صفات النفس لا يجوز خروجه عنها بحال من الأحوال"[٢].

ثالثًا: استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض:

ذهب المتكلمون إلى القول باستحالة خلو الجواهر عن الأعراض، فذهب أغلب الأشاعرة إلى ذلك، يقول الجويني: "الذي صار إليه أهل الحق أن الجوهر لا يخلو عن كل جنس من الأعراض وعن جميع أضداده، إن كانت له أضداد، وإن كان له ضد واحد، لم يخلُ الجوهر عن أحد الضدين، فإن قُدّر عرض لا ضد له، لم يخلُ الجوهر عن قبول واحد من جنسه"[٣].

أما المعتزلة فقد اختلفوا في ذلك؛ فذهب الصالحي إلى جواز خلو الجوهر عن الأعراض، وذلك ما يحكيه عنهم الجويني، فيقول: "وجوز الصالحي الخلو عن جملة الأعراض ابتداء، ومنع البصريون من المعتزلة العرو عن الأكوان، وجوزوا الخلو عمّا عداها، وقال الكعبي ومتبعوه: يجوز الخلو عن الأكوان، ويمتنع العرو عن الألوان" [٤].

أما الشيخ أبو علي الجبائي فيذهب وأبو القاسم إلى استحالة خلو الجوهر عن الأعراض، أما أبو هاشم فيذهب إلى جواز خلو الجوهر من الأعراض كلها ما عدا الأكوان فيقول ابن متوية: " أوجب الشيخ أبو علي ألّا يخلو الجوهر مما يحتمله أو من ضده إن كان له ضد، فإن لم يكن له ضد لم يخل منه أصلا، فاقتضى من طريقته أن نقول بامتناع خلو الجوهر من اللون ومن

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٤.

(٣) الإرشاد الجوينى ص٢٣.

(٤) المصدر نفسه ص٢٣- ٢٤.

غيره من الأعراض، وهذا هو طريقة الشيخ أبي القاسم في الجملة. والذي يختاره أبو هاشم وأصحابه جواز خلوه من هذه المعاني في الأصل، فإذا عدمت جازت إعادته خاليًا من المعاني كلها، ما عدا الكون"(١).

فالمعتزلة ـــ بناء على ما تقدم ـــ اختلفوا على فريقين: فريق أجاز خلو الجوهر عن بعض الأعراض؛ فالصالحي جوز الخلو عن جملة الأعراض، والبصريون وأبو هاشم يرون امتناع خلو الجوهر عن الأكوان وجواز خلوه عما عداها، وأما الكعبي فمنع الخلو عن الألوان، وجوزه بالنسبة للألوان.

والفريق الثاني منع خلو الجوهر عن جميع الأعراض كأبي علي وأبي القاسم والقاضي عبد الجبار؛ إذ يقول: " إن الأجسام لا تخلو من الأكوان التي هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، والدليل على صحة ما نقوله في ذلك هو أن الجسم لو جاز خلوه عن هذه المعاني لجاز خلوه عنها الآن، بأن يبقى على ما كان عليه من الخلو احترازا عن اللون، فإنه وإن صح خلو الجسم منه لم يصح أن يخلو منه بعد وجوده فيه"(٢).

رابعا": استحالة حوادث لا أول لها:

ذهب الأشاعرة إلى استحالة حوادث لا أول لها، فقال الجويني:"إنه انقضى قبل الدورة التي نحن فيها دورات لا نهاية لها، وما انتفت عنه النهاية يستحيل أن يتصرم بالواحد علي إثر الواحد، فإذا انصرمت الدورة التي قبل هذه الدورات أذن انقضاؤها وانتهاؤها بتناهيها"(٣).

---

(١) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض ابن متوية تحقيق د/سامي نصر لطف، د/فيصل بدير عون، تصدير د/إبراهيم مدكور. دار الثقافة (د.ت) ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار ص١١١.

(٣) الإرشاد الجويني ص ٢٦

أي: أن غير المتناهي لا يمكن أن يكون متناهيًا، وما دامت الدورة قد انتهت بوجود دورة جديدة فهي متناهية فهي إذًا حادثة ولها بداية، ومخلوقات الله يجب أن تكون معدودة وما يكون معدودًا فهو متناه وحادث، والحادث له أول وبداية، يقول الجويني: "ويستحيل أن يدخل في الوجود من مقدورات الباري تعالى ما لا يحصره عدد ولا يحصيه أمد. والذي يحقق ذلك أن حقيقة الحادث ما له أول، وإثبات الحوادث مع نفي الأولية تناقض"(١).

ويقول القاضي عبد الجبار: "كل واحد من الأعراض والأجسام له أول، فمحال ألا يكون لجميعها أول؛ لأن الحدوث قد عمها"(٢).

فالحادث عند المتكلمين له أول وبداية؛ لأنه لا يجوز أن يكون الحادث أزليًّا وقديمًا؛ لأنه لا يخرج عن العد والحصر.

وإذا ثبت استحالة حوادث لا أول لها وثبت استحالة تعري الجواهر عن الأعراض وثبت وجود الأعراض وثبت حدوثها ـــ فيمكن القول بأن العالم جواهر وأعراض، والأعراض حادثة والجواهر لا تخلو عن الأعراض وهي حادثة، وما لا يخلو عن الحوادث ولم يسبقها حادث مثلها فالجواهر حادثة؛ فالعالم إذًا حادث. هذا هو دليل الحدوث المشهور عند المتكلمين، فاستخدمه المعتزلة والأشاعرة، واستخدمه الماتريدى في كتابه "التوحيد"(٣).

وهذا الدليل يبنى إذًا على فكرة الحدوث؛ حدوث الجواهر والأعراض والانتقال منها إلى حدوث العالم وإثبات وجود الله عن طريقه.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦

(٢) انظر المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار : ج ١ / ص٢٠٦

(٣) راجع التوحيد الماتريدي ، حققه وقدم له د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية (د.ت) ص ١٣.

والمتكلمون يؤيدون القول بخلق العالم، وأن الله هو الخالق للعالم وموجده من العدم ولكي يثبتوا وجود الله فقد أثبتوا حدوث العالم، وأنه لا بد له من محدث. والإمام محمد عبده يذكر موقف المتكلمين فيقول: "ذهب المتكلمون إلى أن كل ما في العالم فهو حادث بالزمان فلا شيء منه بقديم، وعلى ذلك أيضًا بعض الفلاسفة من الأقدمين والإسلامين"(١).

الدليل الثاني: دليل قياس الغائب على الشاهد:

إن من بين الأدلة التي استدل بها علماء الكلام "المعتزلة" على وجود الله تعالى "دليل قياس الغائب على الشاهد".

تعريف قياس الغائب على الشاهد: هو الاستدلال بالمعلوم على ما لا يعلم.

هذا ويقارن صاحب البصائر النصيرية بين قياس الغائب على الشاهد والتمثيل قائلًا: "ومن التمثيل نوع يسمونه الاستدلال بالشاهد على الغائب، وكأن الشاهد عندهم عبارة عن المحس وتوابعه، ويدخل فيه ما يشعر به الإنسان من أمور نفسه الخاصة كعلمه وإرادته وقدرته. والغائب ما ليس بمحس، فيثبتون في الغائب حكم الشاهد؛ لما بينهما من المشابهة(٢).

ويقول القاضي عبد الجبار في معرض كلامه عن صفة الحياة "إننا نرى في الشاهد ذاتين: إحداهما صح أن يقدر ويعلم كالواحد منا، والآخر لا يصح أن يقدر ويعلم كالجماد، فمن صح من ذلك فارق من لا يصح الأمور وليس ذلك الأمر إلا صفة ترجع إلى الجملة وهي كونه حيًّا. فإذا ثبت هذا في الشاهد ثبت في الغائب؛ لأن طرق الدلالة لا تختلف شاهدًا وغائبًا(٣).

---

(١) حاشية على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية محمد عبده. ، الطبعة الأولى ١٩٠٤، المطبعة الخيرية ص ١٤-١٥.

(٢) البصائر النصيرية في علم المنطق: زين الدين بن سهلان الساوي: تعليق الشيخ محمد عبده. ط المطبعة الأميرية ببولاق مصرط١- ١٨٩٨م ص ٢٧٤.

(٣) شرح الأصول: تحقيق د. عبد الكريم ص ١٦١.

وإذا كان قياس الغائب على الشاهد هو عبارة عن أصل وفرع وحكم فلا بدّ من جامع بين الأصل والفرع، حتى يمكن إثبات الحكم غائبًا كما ثبت شاهدًا.

فهناك قياس للغائب على الشاهد بجامع العلة، وقد استخدم المعتزلة هذه الصورة لإثبات أن المحدثات لابد لها من محدث(١).

وإذا كانت هذه الصورة من صور قياس الغائب على الشاهد لا بد فيها من الاستدلال على العلة فإن القاضي عبد الجبار يبحث هذه النقطة تحت عنوان: "بيان طرق صحة العلم، ويبين أنه لا بدّ في العلة من طريق لتتميز به مما ليس بعلة "وأهم هذه الطرق: السبر، والتقسيم، والطرد، والعكس(٢).

وهناك قياس للغائب على الشاهد بجامع الدلالة.

يقول القاضي عبد الجبار: "وأما الذي يدل على صحة الفعل المحكم دلالة كونه عالمًا فهو أنا وجدنا في الشاهد قادرين: أحدهما قد صح منه الفعل المحكم كالكاتب، والآخر تعذر عليه كالأمي، فمن صح منه ذلك فارق من تعذر عليه بأمر من الأمور، وليس ذلك الأمر إلا صفة ترجع إلى الجملة؛ وهي كونه عالمًا"(٣).

وهناك قياس للغائب على الشاهد بجامع الشرط، وقد استخدم المعتزلة ذلك القياس في إثبات كونه تعالى حيًّا، إذ طردوا الشرط شاهدًا وغائبًا(٤).

وهناك قياس للغائب على الشاهد بجامع الحد والحقيقة، وقد استخدم المعتزلة ذلك الطريق لإثبات صفة الكلام لله تعالى، إذ يرون أن المتكلم في الشاهد هو

---

(١) شرح الأصول ص ٩٤، ١١٨.

(٢) المغنى للقاضي عبد الجبار ، تحقيق د. محمود قاسم ود. إبراهيم مدكور وآخرون – الدار المصرية جـ٧ ص ٣٣٢- ٣٣٣.

(٣) شرح الأصول ص ١٥٧.

(٤) ديوان الأصول: النيسابوري ص ٤٦١- ٤٧١.

من فعل الكلام، والأمر كذلك في الغائب "وحقيقة الصفة لا يجوز أن تختلف في الشاهد والغائب فيجب أن تكون حقيقة المتكلم أنه فعل الكلام في القديم والمحدث جميعا[١].

ويستخدم أبو رشيد سعيد بن محمد النيسابوري أحد علماء المعتزلة قياس الغائب على المشاهد في الاستدلال على إثبات الصانع، فيقيس العالم المحدث على تصرفات المخلوقين وأفعالهم المحدثة بجامع احتياج كل إلى محدث، فيقول: وجملة القول في ذلك العالم إذا كان محدثًا فلا بد له من محدث، والدليل على ذلك تصرفاتنا في الشاهد محتاجة إلينا لحدوثها، فالعالم إذًا شاركها في الحدوث وجب أن يشاركها في الاحتياج إلى محدث وفاعل وهو الله تعالى.

وهذه الدلالة مبنية على أربع دعاوى، إحداها: أن هاهنا تصرفات، والثانية: أنها محدثة، والثالثة: أنها محتاجة إلينا، والرابعة: أنها محتاجة إلينا لحدوثها.

إذا ثبت هذا قسنا العالم على تصرفاتنا، فنقول: تصرفاتنا في الشاهد محتاجة إلينا لحدوثها، فالعالم إذا شاركها في الحدوث وجب أن يشاركها في الاحتياج إلى محدث وفاعل؛ وهو الله تعالى[٢].

الدليل الثالث: خلق الإنسان

وجّه القرآن الكريم نظر الإنسان العاقل وفكره إلى ما في الكون من الدلائل الحسية والمعنوية التي تشهد بوجود صانع مدبر حكيم أوجد المخلوقات المحيطة بالإنسان لينتفع ويتمتع بها، فكل ما في الكون ينطق بوجود الله تعالى.

---

(١) المغنى جـ٧، ص ١٦٨.

(٢) ينظر في التوحيد (ديوان الاصول) ص ٥٣، ، وراجع العقل ودوره في الاستدلال على وجود الله عند المتكلمين د/ سعيد الهواري صـ ٢٣.

إن خلق الكون وسيره وانتظامه ووجوده وكذلك وجود الإنسان دليل على وجود الله.

وقد جاء في القرآن من الآيات التي تنبه العقل، وتطالبه بالتعرف على الله تعالى وتسوق له من الأدلة ما يؤكد وجود الخالق المدبر المهيمن الذي أحاط علمه بجميع المعلومات. قال تعالى: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ" سورة الذاريات آية ٢١، وقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" سورة فصلت آية ٥٣، لقد بث الله دلائله في أرجاء هذا الوجود؛ إذ أودعها في الإنسان ذاته.

فإذا تفكر الإنسان في ذاته وفي خلقه وجد أن خلقه في غاية الدقة والتعقيد معًا، مثل التفكر في أصل نشأته، ومراحل تطوره وهو جنين، ثم تزويده بكل القوى والحواس بعد ولادته، وغير ذلك من أجهزة الجسم المختلفة التي تعمل في دقة وإتقان ودون توقف، بالإضافة إلى العقل والروح، وهما من الأشياء المعقدة جدًّا في خلق الإنسان، ولذلك فالإنسان لا يستطيع أن يخلق نفسه ولا وُجد صدفة، بل أوجده خالق متصف بجميع صفات الكمال والجلال؛ وهو الله.

وقد خلق الله الإنسان ومنحه خصائص ومميزات، فلقد ميّزه الله بالعقل، وخصّه بالفهم والعلم، وأعطاه ملكة التعبير والبيان، وسخر له ما في السماوات والأرض، وخلقه على أحسن صورة، كل ذلك يدل دلالة تامة على الخالق المبدع، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ سورة الانفطار آية ٦–٨.

وتوجد عديد من الآيات القرآنية التي تثبت أن خلق الإنسان من تراب وماء، ففي القرآن آيات كثيرة تؤكد علي خلق الإنسان من تراب قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.) سورة المؤمنون. ١٢: ١٤].

فالآيات تبين مراحل خلق الإنسان، وهي:

المرحلة الأولى أو المرتبة الأولى: السلالة الخالصة؛ لأنها تسل من بين الكدر. واختلف في تفسير الإنسان فقال ابن عباس: إنه آدم عليه السلام؛ فآدم سل من الطين، وخلقت ذريته من ماء مهين، ثم جعلت الكناية راجعة إلى الإنسان الذي هو ولد آدم فالإنسان شامل لآدم عليه السلام ولولده، وقال آخرون: الإنسان هاهنا ولد آدم، والطين هاهنا اسم آدم عليه السلام، والسلالة هي الأجزاء الطينية المبثوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المني صارت منيًّا؛ فهذا التفسير مطابق لقوله تعالى: (وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) [السجدة ٧، ٨][(١)]، فهذا تأكيد على أن الماء أصل الإنسان، وعندما امتزج بالتراب صار طينًا.

المرتبة الثانية: قوله تعالى: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين).

فمعنى جعل الإنسان نطفة أنه خلق جوهر الإنسان أولًا طينًا، ثم جعل جوهر الإنسان الضعيف بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء، فقذفه الصلب بالجماع إلى رحم المرأة، فصار موضع القرار وهو المستقر، فسماه بالمصدر، ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك: "طريق سائر أو لمكانتها في نفسها؛ لأنها تمكنت من حيث هي وأحرزت"(٢)، فالآية تشير إلى خلق الإنسان بعد آدم.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ، دار الغد العربى ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ،ج٢٢ / ٣٥٣.

(٢) راجع مفاتيح الغيب للرازى ج ٢٢ / ٣٥٣.

المرتبة الثالثة: قوله تعالى: (ثم خلقنا النطفة علقة)، أي: تحويل النطفة عن صفاتها إلى صفات العلقة؛ وهي الدم الجامد.

المرتبة الرابعة: قوله تعالى: (فخلقنا العلقة مضغة)، أي: جعل ذلك الدم الجامد مضغة، أي: قطعة لحم كأنها مقدار ما يمضغ كالغرفة، وهي مقدار ما يغترف، وسمي التحويل خلقًا؛ لأنه سبحانه يفني بعض أعراضها، ويخلق أعراضًا غيرها، فسمى خلق الأعراض خلقًا وكأنه سبحانه وتعالى يخلق فيها أجزاء زائدة.

المرتبة الخامسة: قوله تعالى: (فخلقنا المضغة عظاما)، أي: صيرت كذلك.

المرتبة السادسة: قوله تعالى: (فكسونا العظام لحما)؛ وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة لها(١).

المرتبة السابعة: قوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقا آخر)، أي: خلقًا مبينًا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانًا، وكان جمادًا وناطقًا، وكان أبكما وسميعًا، وكان أصما وبصيرًا وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين ولا شرح الشارحين(٢)، فنبه بذلك على تسوية خلق الإنسان.

ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، يقول: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح..)(٣) وقوله تعالى: (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان) [السجدة ٧]

---

(١) المصدر نفسه ج ٢٢ / ٣٥٤

(٢) المصدر نفسه ج ٢٢ / ٣٥٤.

(٣) فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم و ذريته رقم ٣٣٣٢، ج٦/ ٣٦٣.

فقيل: المراد بالإنسان هو آدم عليه السلام فإنه خلقه من طين، ويمكن أن يقال بأن الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي أصله مني والمني أصله غذاء، والأغذية إما حيوانية، وإما نباتية، والحيوانية بالآخرة ترجع إلى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو طين.

و قوله تعالى: (ثم جعل نسله..) على التفسير الأول ظاهر؛ لأن آدم كان من طين ونسله من سلالة من ماء مهين هو النطفة، وعلى التفسير الثاني هو أن أصله من الطين، ثم يوجد من ذلك الأصل سلالة هي من ماء مهين[1].

وقوله تعالى: (إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران ٥٩]، فخلق الله الإنسان الأول وهو آدم من تراب، ثم نفخ فيه الروح فصار نفسًا حية.

فقد دل العقل على أنه لا بد للناس من والد أول، وإلا لزم أن يكون كل ولد مسبوق بوالد لا إلى أول وهو محال، والقرآن دل على أن ذلك الوالد الأول هو آدم عليه السلام. ثم إنه تعالى ذكر في كيفية خلقه آدم عليه السلام وجوها كثيرة: –

١. أنه مخلوق من التراب كما في سورة آل عمران آية٥٩.
٢. أنه مخلوق من سلالة من طين كما في سورة المؤمنون (١٢ – ١٣.)
٣. أنه مخلوق من الماء كما في سورة الفرقان ٥٤.
٤. أنه مخلوق من الطين كما في سورة السجدة (٧ – ٨)
٥. أنه مخلوق من طين لازب كما في سورة الصافات آية ١١.
٦. أنه مخلوق من صلصال كما في سورة الحجر آية ٢٨. [2]

(١) مفاتيح الغيب للرازى جـ ٢٤ / ٥٤٤- ٥٤٥ .
(٢) المصدر نفسه ج٧ / ٢٤٩ – ٢٥٠.

٧. أنه مخلوق من عجل كما في سورة الأنبياء ٣٧، البلد آية ٤. قال العلماء: إنما خلق آدم عليه السلام من تراب(١).

كل هذه الآيات تدل على خلق الإنسان من الطين أو من الماء والتراب، فعبر في هذه الآيات عن حالات مختلفة فإما أن يعبر عن عنصر من عناصر خلق الإنسان وهو الماء أو التراب وهو العنصر الآخر، أو يعبر بالصلصال أو الحمأ المسنون أو الطين اللازب فهي أوصاف للطين وحالات مختلفة له، فالإنسان إذًا مخلوق من الماء والتراب امتزجا فصارا طينًا.

وقد ورد بشأن خلق الإنسان من النصوص المتواترة أن الله تعالى بدأ خلق الإنسان من طين، وأنه خلقه من تراب، ومن طين لازب ومن سلالة من طين ومن حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار، وورد أنه خلق من ماء ووصفه بأنه مهين، أي: حقير ولا ذكر له ولا اعتبار، وأن الله خلق البشر من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء، وهذه النصوص يدل ظاهرها على أن الله تعالى خلق الإنسان نوعًا مستقلًا لا بطريقة النشوء. ولو وصل النشوئيون إلى دليل يقيني على النشوء لكان على المسلم أن يعتقد بالنشوء، ولكن لم يثبت دليل علي ذلك إلى الآن(٢).

وأما قوله تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشرا) [الفرقان ٥٤] فيفيد أن الله خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرًا أو أنثى كما يشاء(٣) فهنا عبر عن عنصر من عناصر خلقه؛ وهو الماء أو المني، فهو شيء لا يذكر فلا اعتبار له لئلّا يغتر الإنسان بقوته.

---

(١) المصدر نفسه ج ٢٥٠/٧.

(٢) الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه د. محمود عتمان ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر – المنصورة – ١٩٨٤ م ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة دار التراث، القاهرة ج ٣٢٢/٣.

أما قوله تعالى: (الذي خلقك فسواك فعدلك) [الانفطار ٧] فيوضح أن الله جعل الإنسان سويًا مستقيما معتدل القامة منتصبًا في أحسن الهيئات والأشكال وإن شاء ركبك في صورة قرد أو خنزير أو كلب أو حمار فالله قادر على خلق النطفة في شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة(١).

ويتضح أن آدم خُلق كما ذكر في القرآن، وأن الله سواه وعدله وجعله في أحسن صورة لقوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) [التين٤]. أي في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها(٢).

وقوله تعالى: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض) [الكهف ٥١]، فهي تعنى أن الله هو المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحده، وليس معه في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير(٣) ".

وقوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم...) [الإسراء ٧٠]، وقد اختلف المفسرون في المراد بالتكريم فقال ابن عباس: بالعقل، وقيل بالنطق، وقيل: بتعديل القامة وامتدادها، وقيل بالمطاعم واللذات، وقيل: بحسن الصورة، وقيل: بجعل محمد عليه الصلاة والتسليم منهم، قيل: بالتسليط علي غيره من الخلق وتسخيره له، فهذا بيان لخلق الإنسان وامتيازه عن غيره.

فيتفق القرآن الكريم والعلم في خلق الإنسان من تراب وأن الله أكرمه وسواه، فلا مجال للقول بتطوره عن حيوانات أخري، والعلم ذاته قد بين خطأ تلك النظرية وأدلتها ليست بالقوية. والقرآن يفصل القول في خلق الإنسان، ومراحل خلقه وكيفية خلقه، وأوصاف الطين الذي منه خلق فمرة يذكر الماء، ومرة التراب، ومرة ثالثة الطين.

---

(١) المصدر نفسه ج٤/٤٨١- ٤٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ج ٤/٥٢٧.
(٣) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٣/٨٩.

وما يذكره القرآن عن تطور في خلق الإنسان إنما هو تطور في خلق الإنسان، وهو في بطن الأم وهو بيان لعناصر الخلق، فالقرآن ذكر أنه مخلوق من الطين، لكن الوقت الذي قبل ذلك لم يتحدث عنه وهو أمر غيبي.

فالأطوار في قوله تعالى: "وقد خلقكم أطوارا "سورة نوح ١٤: إنما تعني مراحل مختلفة، وليس المقصود بالتطور النشوء والارتقاء من حيوانات أخري، ولكنه تطور من حال إلى حال من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة حتى يصير إنساناً مستويًا عاقلًا، أو المقصود أنها أصناف مختلفة؛ فمنهم السقيم والصحيح والبصير والضرير والغني والفقير(١). أما قوله تعالى: (هل أتي علي الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) [الإنسان ١] فتعنى أن الإنسان أو آدم قد ظل مدة من الزمن ليس له ذكر أو اعتبار لضعفه وذلك قبل نفخ الروح فيه، وسمي إنساناً باعتبار ما يصير إليه بعد نفخ الروح فيه من كونه إنساناً(٢).

الدليل الرابع: خلق الكون:

إن الكون في كل مظهر من مظاهره إذا تفكر فيه الإنسان رأى فيه دلالة على إبداع عظيم لا يمكن أن يحدث إلا من مُبدع قادر حكيم، يقول تعالى: " أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى " سورة الروم آية ٨.

(١) راجع البحر المحيط لأبي حيان قرظه د / عبد الحي الفرماوي ، دراسة وتحقيق د . عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي – ١٩٩٣ م ج ٣٣٤/٨ ، انظر أيضا مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٧٤٢/٣٠ .

(٢) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤٥٣/٤ ، انظر مفاتيح الغيب الرازي ، ج ٥٠/٣١.

وإذا كان خلق الإنسان على هذه الصورة من الدقة فما بالنا بخلق السماوات والأرض وهما أكبر وأعظم من خلق الإنسان؟! يقول تعالى: ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ سورة غافر ٥٧، فالسماوات بما فيها من مجرات ونجوم وكواكب، والأرض بما عليها من بحار وأنهار وجبال وحيوان ونبات ـــ تدل على وجود الله.

قال تعالى: "الذي أحسن كل شيء خلقه " سورة السجدة آية ٧، وقال تعالى: " بديع السماوات والأرض " سورة البقرة آية ١١٧، " أم خُلقُوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خَلَقُوا السماوات والأرض بل لا يوقنون " سورة الطور آية ٣٥ – ٣٦ " قل انظروا ماذا في السماوات والأرض " سورة يونس آية ١٠١، " أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء " سورة الأعراف آية ١٨٥.

ويمكن الاستدلال على وجود الخالق من خلال الاستدلال بخلق الكون انطلاقا من قوله تعالى " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ " سورة فصلت الآيات ٩ – ١٢، إن دراسة الكون تدلنا على أن خلقه تم في عدة مراحل على نحو تدريجي، والخلق التدريجي هو خلق مخطط ، وإذا كان الكون قد خُلِق بأسلوب مخطط، فلا بد أن يكون هناك مُخَطِط قام بصنعه عن قصد وإرادة حسب خطته المرسومة [1].

فالكون إذًا حسب الخلق التدريجي يحتاج إلى من ينقله من مرحلة إلى أخرى؛ لأنه لا يمكن أن ينتقل هذا الكون على ما فيه من دقة ونظام من مرحلة إلى أخرى من تلقاء نفسه، والذي ينقله ويخلقه على هذه الهيئة قادر وعليم وحكيم.

(١) راجع التذكير القويم في تفسير القرآن الحكيم لوحيد الدين خان ، دار الوفاء ، المنصورة ، ترجمة أنيس لقمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ج ٣ / ٢٣٨ .

وهناك ثلاثة آراء عن أصل الكون بالنسبة للعلم الحديث:

الأول: القائل بنظرية الانفجار العظيم، وهذه النظرية تعني أن الكون نتج من انفجار كتلة واحدة من المادة، وأنه يتمدد باستمرار، وهذه النظرية تسمى بنظرية الفرض السديمي.

وتعرف هذه النظرية باسم بينج بانج الذي حدث عند بداية الكون، ويعني الانفجار العظيم ضمناً ليس فقط ظهور المادة والطاقة، بل يشمل أيضًا الفضاء والزمان، فالانفجار العظيم هو الماضي الأقصى للكون المادي بأكمله.

وقد فرض الفلكي جورج لمتر عام ١٩٣١ أن الكون كان في الأصل كتلة عظمى متماسكة عالية الكثافة، وكانت هذه الكتلة ساخنة جدًا تصل حرارتها الى بلايين البلايين من الدرجات، وقطرها حوالي ٢٠٠ مليون ميل، وتسمى البيضة الكونية وهذه البيضة انفجرت عند نشأة الكون انفجارًا هائلًا فتكونت بذلك نوايا النجوم التي تبعثرت بسرعة عالية في جميع الاتجاهات، وتجمعت مجاميع النجوم بالجاذبية فتكونت المجرات التي ما زالت تجري في الفضاء الكوني.

والرأي الثاني: هو نظرية حال الاستقرار، وهو يعنى أن الكون كان له التركيب الحالي، وأن المادة تتشكل باستمرار.

والرأي الأخير: هو القائل بنظرية التذبذب، ومؤداها أن الكون يتمدد ويتقلص بانتظام على مدى آلاف الملايين من السنين، غير أنه يمكن القول أن القرآن يؤيد النظرية الأولى من هذه النظريات الثلاث(١).

---

(١) راجع أسطورة المادة : بول ديفيز وجون جربين: ترجمة علي يوسف علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٨ ص ١٢٤.

ويظهر من هذا القول أن الكون كان وحدة متصلة تكثرت بعد ذلك الموجودات عنها[١]، ولعل هذا المعنى يستفاد من قوله تعالى: " (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما) [الأنبياء ٣٠].

واختلف أهل العلم في هذه الآية: فقال بعضهم إن السماوات والأرض كانتا متلاصقتين ففصل الله بينهما بالهواء، وقال ابن عباس: كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي ووضع الأرض، وقال آخرون: إن السماوات كانت مرتتقة، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات، وكانت الأرض كذلك مرتتقة ففتقها الله سبع أرضين وهو قول مجاهد، وقال بعضهم: إنه فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات[٢].

فالآية الكريمة توضح أن الكون كان شيئًا واحدًا، ثم انفصل إلى سماوات وأرض، وهكذا تتفق الآية مع نظرية الانفجار العظيم.

أما مراحل خلق السماوات والأرض فيذكر القرآن الكريم أنها خلقت في ستة أيام يقول تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) [الأعراف ٥٤]. وليس المراد باليوم في الآية اليوم الزمني المتعارف عليه، فيقول أبو السعود:" إن خالقكم ومالككم الذي خلق الأجرام العلوية في ستة أوقات كقوله تعالى: "(ومن يولهم يومئذ دبره) " أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف عليه أن اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم تكن هي حينئذٍ" [٣].

---

(١) راجع الكون والإعجاز العلمي : د. منصور حسب النبي ، دار الفكر العربي – الطبعة الثالثة – ١٩٩٦م ص ٣٤١.

(٢) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى ، قدم له الشيخ خليل الميس، تخريج صدقى جميل العطار، دار الفكر بيروت ١٩٩٩ ج ٢٤/١٧-٢٦، و انظر أيضا الرازى: مفاتيح الغيب، ج ١١٤/٢١.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠١٠، ج٢٣٢/٣.

و يقول الإمام القرطبي: "اليوم من طلوع الشمس إلى غروبها ومعنى "في ستة أيام": من أيام الآخرة" (١).

وعلى هذين التفسيرين وغيرهما يبدو أن الأيام ليست هي أيام الدنيا، بل هي مدة لا يعلم قدرها إلا الله، لأن اليوم مرتبط بطلوع الشمس وغروبها والشمس لم تكن موجودة حينئذ.

إن أسباب الحياة عمل لا يقوم به غير الله، وإن أكثر الناس كانوا ولا يزالون يؤمنون بأن خالق الكون ومالكه هو الله، وهو الذي منحنا كل ما نحتاج إليه في الحياة الدنيا، إن إيجاد الكون وتوفير الأسباب الضرورية للحياة فوق الأرض لعمل عظيم هائل لدرجة أنه لا يمكن لشخص ما أن يعزوه إلى أحد غير الله الواحد الأحد (٢).

والكون دليل على وجود الله ولا يمكن وجود الكون بدون خالق، والحقيقة أنه ليس لنا اختيار بين وجود الكون عن طريق خالقه أو وجوده بدون خالقه، وإنما الاختيار يكون بين وجود الكون عن طريق خالقه أو عدم وجود الكون تمامًا، وإذا قلنا بعدم وجود الله لزمنا أن نقول بعدم وجود الكون(٣).

فالكون يرتبط وجوده بوجود الله، فإذا لم نعترف بوجود الله لزمنا أن نعترف بعدم وجود الكون؛ لأنه معلول يرتبط بعلته، لكن إذا عُدم الكون لا يلزمنا القول بعدم وجود الله؛ لأن وجوده تعالى مستقل وتام وأزلي، لكن وجود الكون غير مستقل بنفسه وناقص.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠١٠ ، ج٣/٢٣٢.

(٢) التذكير القويم : وحيد الدين خان ج ٣ / ٢٧٦ – ٢٧٧.

(3)Wahiduddin Khan: God and the Life Hereafter، good word books ، New Delhi 2005 ، p 3.

هكذا نرى أن خلق الإنسان وخلق الكون يدلان على إرادة عليا صدرت عن خالق مختار حكيم مريد وضع كل شيء موضعه، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

الدليل الخامس: دليل العناية والحكمة والاختراع:

لقد اعتنى الله بالإنسان وسخر له كل ما يصلحه في هذه الحياة، فلقد سخر الله له كل الكائنات من الحيوان والنبات في السماء والأرض والبحر، فكل ذلك يدل على العناية التامة بالإنسان، ولا يمكن أن تكون هذه المخلوقات مسخرة للإنسان من تلقاء نفسها. قال تعالى: "ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة " سورة لقمان آية ٢٠، ولذلك يقول وحيد الدين: "لقد أُنشيء عالمنا الراهن بحيث يجده الإنسان ملائمًا لنفسه من كل الوجوه والنواحي، هذا إلى جانب أن هذا العالم يتوفر فيه كل شيء يحتاج إليه الإنسان"(١).

إن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وحكمة الله التي تُسيّر الكائنات تبدو في كل شيء، فكل المخلوقات إنما تسير وفق حكمة الله وتقديره، فيكون الشيء مناسبًا لكل شيء، ولا يتعارض مع غيره من المخلوقات، قال تعالى: "وخلق كل شيء فقدره تقديرا" سورة الفرقان آية ٢، "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" سورة الملك آية ١٤، "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" سورة يس آية ٤٠.

وطبيعة دليل العناية تظهر من خلال اعتبار جميع الموجودات تسير في اتجاه العناية بالإنسان، وهي موافقة لطبيعة وجوده الإنساني، وينبني هذا النمط من الاستدلال على أصلين هما:

(١) راجع التذكير القويم وحيد الدين خان ج ٣ / ٤٨.

الأصل الأول: أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان، فإذا نظرنا إلى أنواع الموجودات كالليل والنهار والشمس والقمر وجدناها موافقة لوجود الإنسان، وكذلك الفصول الأربعة والمكان الذي يعيش فيه وهو الأرض، وكثير من أنواع الحيوانات والنباتات ... كل ذلك موافقة لوجود الإنسان وحياته.

وبالجملة فمعرفة هذه الأشياء والوقوف على منافع الموجودات داخلة في هذا النمط من الأدلة؛ ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص منافع الموجودات.

الأصل الثاني: أن موافقة الموجودات لوجود الإنسان وحياته ليست من قبل المصادفة، بل هي مقصودة لفاعل قاصد لذلك ومريد له .

وهذا الأصل يبين ثمرة الاشتغال بدليل العناية، في مجال إثبات وجود الخالق عز وجل إثباتاً يقينيا، كما تصبح جميع الموجودات أدلة ينتفع بها في مجال تقرير مختلف قضايا الاعتقاد **أما عن دليل الاختراع فأقول:**

معناه النظر في اختراع جواهر الأشياء الموجودة مثل: اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل .

وينبني هذا النمط من الأدلة على أصلين موجودين بالقوة في فطر الناس وهما :

أ – أن هذه الموجودات مخترعة: وهذه حقيقة مسلم بها؛ إذ ليس ثمة خالق غير الله تعالى، وتتقرر هذه الحقيقة من خلال النظر إلى الموجودات، سواء تعلق الأمر بحيوان أو نبات... كما قال تعالى: {يَأَيُّهَا اَلنّاسُ ضُرِبَ مَثَلُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ، إِنّ اَلذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اِللّهِ لَنْ يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اِجْتَمَعُواْ لَهُ، وَإِنْ يَّسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاّ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ اَلطّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [سورة الحج الآية ٧١]. "فإننا نرى أجساما تحدث فيها الحياة فنعلم قطعا أن

هاهنا مُوجِدًا للحياة ومنعما بها، وهو الله تبارك وتعالى. وأما السماوات فنعلم من قِبَلِ حركاتنا التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا، ومسخرة لنا. والمسخر المأمور مختَرع من قبل غيره ضرورة" .

ب – أن كل مخترع فله مخترع: وينتج عن هذين الأصلين أن للموجود فاعلًا مخترعًا له. ويمكن أن يتولد عن هذين الأصلين أدلة طبيعية كثيرة، تقدر بعدد الأشياء المخترعة .

ولذلك كان واجبًا على من أراد معرفة الله تعالى حق المعرفة أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات؛ لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَّكُونُواْ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُومِنُونَ} [الأعراف الآية ٨٥].

إن نصوص القرآن الكريم الذي تقرر آياته هذين الدليلين أبدع تقرير، وهي تنتظم في ثلاثة أنواع :

النوع الأول: آيات تتضمن دليل العناية فقط مثل قوله تعالى {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَكُمْ، أَزْوَجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَتِ مَآءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا} [سورة النبأ الآيتان ٦ –١٦]

ومثل قوله تعالى: {تَبَرَكَ الَذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا. وَهُوَ الَذِي جَعَلَ اللَيلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنَ اَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوَ اَرَادَ شُكُورًا} [سورة الفرقان الآية ٦١–٦٢]

النوع الثاني: آيات تضمنت دليل الاختراع فقط: مثل قوله تعالى {فَلْيَنْظُرِ الاِنْسَنُ مِمِّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَآءٍ دَافِقٍ} [سورة الطارق الآيتان ٥-٦] ومثل قوله تعالى {اَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى اَلاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى اَلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى اَلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى اَلاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [سورة الغاشية الآيات ١٧-٢٠]

النوع الثالث: آيات تضمنت الدليلين معًا، وهي التي تشكل القسم الأكبر في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {يأَ يُّهَا اَلنّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتّقُونَ اَلذِي جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ فِرشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ اَلثَّمَرَتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة الآيتان ٢٠-٢١]

وقوله تعالى: {الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...} إشارة إلى دليل الاختراع وقوله جل شأنه: {اَلذِي جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ فِرشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} تنبيه على دليل العناية(١).

ونود أن نشير إلى أن من ينظر إلى الشمس والكواكب والنجوم ويرى نظامها البديع في هذا الفضاء يندهش من هذا التوازن والدقة والإتقان في سيره وحركته وأنه لا يسير هكذا إلا بقدرة الله، ولا يمكن أن تكون حركة الكون ونظامه من تلقاء نفسه، وإلا لعم الفساد والاضطراب.

قال تعالى " وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ" سورة يس آية ٣٣. وهنا إشارة إلى مظاهر العناية بالإنسان في الأرض، إن وجود التربة الخصبة على سطح الأرض، وتوفير الماء

(١) انظر الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تحقيق د/ محمود قاسم مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ م ص١٥٠-

والحرارة والهواء بمقادير مناسبة لها، وكون البذور الملقاة فيها تتمتع بصلاحية النمو والازدهار، وما إلى ذلك مما لا يحصى من عوامل وأسباب معلومة وغير معلومة كهذه تتحول آخر الأمر إلى الحبوب وأنواع الثمار والخضروات لتكوّن غذاء الإنسان، إن هذا النظام قد وُجد بأكمله من غير أن يوجده الإنسان، وإنما يتم إيجاده وتصريفه بفضل من الله ورحمته ليس غير.

ومن يتأمل في هذا الكون ويُعمل عقله تتجلَّ له آيات الله في هذا الكون، وذلك انطلاقا من قوله تعالى ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ سورة الأعراف آية ١٨٥ وقوله ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ سورة يونس أية ١٠١، فيرى في كل شيء آية من آيات الله، كما في قوله تعالى " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " سورة فصلت آية ٥٣.

إن العلم الحديث كشف في عام ١٩١٣م أن ثمة مجرات تندفع إلى اتجاه الخارج بسرعة فائقة، ثم كشف أدون هبل وملتون هوماسون من منظار يصل لمئة بوصة- أن سائر المجرات تسير بسرعة إلى اتجاه الخارج، وقد جمع عالم الفلك الهولندي وليم دى ستار شواهد في تأكيد هذه النظرية، وفي عام ١٩٦٥ كشف أرنو بنزياز وروبرت ويلسون عن بعض الأشعة الناتجة عن الانفجار الكوني البدائي، والذي كان الكون كله جزءًا واحدًا مشدودًا نحو المركز، ثم حدث انفجار عظيم تباعدت وانتشرت أجزاء هذا الكون نحو الفضاء الخارجي[1].

(١) راجع قضية البعث الإسلامي : وحيد الدين خان ، ترجمة محسن عثمان الندوي، ١٩٨٤، دار الصحوة ص ١٠٩، وأيضًا: التذكير القويم ج ٢ / ٤٥٣.

المبحث الثاني: أهم دوافع المنكرين لوجود اللّه تعالى والرد عليها

تمهيد:

مما لا شك فيه أن وجود الله تعالى حقيقة واقعة، دل عليها النقل والعقل معا وأقرها أصحاب الفطر النقية، وأصحاب العقول السليمة، فمن أمعن النظر في هذا العالم وما حواه من أجناس مختلفة، من سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، وجبال راسيات شامخات، وغير ذلك من المخلوقات التي تشهد بوجود إله قادر أوجد هذه الأشياء، ولئن خفت هذه الآيات على بعض العقول فذلك لضعفها.

وهذه الأدلة واضحة لكل عقل سليم، عدا أصحاب الهوى وأتباع الشيطان الذين يلحدون في آياته ويجادلون في وجوده بالباطل.

لكن أصحاب العقول الضعيفة الذين سموا بالماديين لإيمانهم بالمادة وحدها، وقدسوها ونعتوها بصفات الله تعالى ورأوا فيها قدرة على الخلق والإيجاد، "وأثر عنهم لا إله والحياة مادة"(١).

كما سموا كذلك بالحسيين لإيمانهم بالمحسوس المرئي فقط، وما عداه فلا وجود له؛ ولهذا أنكروا ما وراء الطبيعة.

"فالفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر المحسوسة، وما بينها من علاقات وقوانين"(٢).

---

(١) الشيوعية منشأ ومسلكًا د. دندل جيد صـ ١٨٩. بتصرف مكتبة المنار ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ط٣.

(٢) الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه د.محمود عتمان صـ ٨٣.

وسموا كذلك بالطبيعيين لإيمانهم بالطبيعة وحدها، فقد ذكروا "أن كل شيء محصور في الطبيعة وأن كل ما يتخيل وراءها وهم في وهم، وأن الإنسان ما هو إلا ثمرة القوى الطبيعية، وأن طبيعته المعنوية ما هي إلا مظهر من مظاهر طبيعته المادية "(١).

وأيضا سموا كذلك بالملحدين؛ لكونهم لحدوا في آياته، أي: عدلوا عن الحق وأعرضوا عنه، وأنكروا وجوده وقالوا بأن "المادة تستطيع أن تصنع الروح، وهي تستطيع أن تصنع الله، وأن تكون هي الله (٢).

وقبل هذا كله أطلق القرآن عليهم اسم الدهريين؛ لقولهم بأن الدهر هو المحيي والمميت قال تعالى: وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾(٣).

وإذا كانت كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى وشرفه كما هو الحال بالنسبة لله تعالى وصفاته ـــ فإن الأمر هنا على خلاف ذلك، فكثرة مسمياتهم تدل على قلة شأنهم، وحقارة منزلتهم، وضيق أفقهم لحصرهم الموجود في المشاهد المحسوس، وإنكارهم ما هو أوضح من الشمس في وسط النهار.

هذا وقد وجدت هذه الطائفة عبر العصور والأزمنة المختلفة وبأسماء كثيرة كما سبق ذكره، لكن يجمعها قاسم مشترك وهو إنكار العالم الغيبي بما فيه، وعلى الرغم من إنكارهم لوجوده تعالى فإننا لا نجد دليلًا واحداً يثبتون به قضيتهم، وإنما ساقوا جملة من الشبه نشأت لديهم لضيق أفقهم، وظنوا فيها

---

(١) على أطلال المذهب المادى محمد فريد وجدى جـ١ صـ ١٧ ط دائرة المعارف القرن العشرين بمصر ١٩٢١.

(٢) الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر. جان فال صـ ٥٧ ترجمة فؤاد كامل –مراجعة د/ فؤاد زكريا. دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٤.

سندًا قويًا لما يدعون، ولكن كيف هذا؟ وما ذكروه من قبيل الأوهام والضلالات التي لا أساس لها من الصحة.

فقد رفضوا كل الأدلة التي يستدل بها على وجود الله تعالى، ويريدون "أن يضعوا الله في المختبر تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.. كما يضعون شيئًا ماديًا، إنهم يريدون أن يشاهدوا الله بالمجهر.. ويريدون الإله شيئًا ماديًا مجسدًا مثلهم"(١).

وفيما يلى عرض لبعض دوافع المنكرين لقضية الألوهية، متبعين ذلك بعرض الشبه والرد عليها

دوافع الإنكار:

إن المتتبع للمنكرين لوجود الله تعالى يجد أنهم أنكروا هذه الحقيقة على وضوحها، مدفوعين بذلك بجملة من الدوافع، من أهمها ما يلى: -

أولا - الإلحاد.

الإلحاد طامة كبرى، ومصيبة عظمى، وأساس لكل بلوى، فالملحد لا يؤمن بإله، ولا يقر برسالة، ولا يرضى برسول، كما أنه لا يعتقد بوجود عالم آخر.

بل إن الملاحظ أنه العامل الأكبر في كثير من ألوان الشرك والانحرافات الفكرية، وعلى أساسه ظهرت فلسفات إلحادية كالماركسية، والوضعية والوجودية وغيرها وهي "فلسفات ناقصة أوأصول فكرية، وفي المجتمعات الإنسانية مظاهر متعددة لهذه الفلسفات الناقصة"(٢).

---

(١) العقيدة في ضوء العلم الحديث د. سعد الدين صالح جـ١ صـ ١٦٢ دار الصفا للطباعة ط٢ ١٤٠٧ – ١٩٩١.

(٢) صراع مع الملاحدة حتى العظم د/ عبد الرحمن حبنكه الميدانى ص٣٩٠ دار العلم بيروت ط٤ ع ١٤٠٥ هـ –١٩٨٥ م.

فهو في واقع الأمر انحراف نادر، ومن أهم مظاهره الوقوف عند حدود المادة المدركة بالحس المباشر، أو عن طريق الأجهزة، وتؤدى إلى إنكار الوحى، وإنكار أي حقيقة من حقائق الغيب التي تأتي بها النبوات، بدعوى أنها غير مدركة بالحس فلا يصح في نظر الملحدين التسليم بها(١).

نبدأ أولا ببيان معنى كلمة إلحاد:

إن كلمة الإلحاد Atheism هو اللفظ الإفرنجي مشتق من لفظ يوناني مكون من مقطعين حرف a ويعني النفي وكلمة theos وتعني إلهًا، أي: لا إله، وأطلقه بوسويه على أولئك الذين يحيون وكأن الله غير موجود، وهو مذهب من ينكرون الألوهية والملحد غير مؤله، ويتضمن رفض أدلة المفكرين على وجود الله، والملاحدة فرقة من الفلاسفة يسمون بالدهريين وبالدهرية، ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث إليه (٢).

والإلحاد العلمي كما يرى الدكتور البهي أنه مسألة أساسية في فلسفة الماركسية، وقد سبق الماركسية في مواجهة الدين: العلمانية والماسونية (٣).

وهنا نلحظ ربطه القوي بين الماركسية والشيوعية والإلحاد، وذلك في الأهداف والوسائل والتطبيق.

والإلحاد العلمي هو ادعاء للماركسية ضد الدين، أي: أن العلم يثبت عدم وجود الله ، ومن خلال ذلك اتجه ماركس إلى تكذيب الدين والوحي في تاريخ البشرية، وعده وسيلة استخدمها الرأسماليون لخداع الفقراء(٤).

---

(١) انظر: المصدر نفسه صـ٣٩٠.

(٢) راجع المعجم الفلسفي : مراد وهبة دار قباء الحديثة ٢٠٠٧ ص ٨٣ ، المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ١٩٨٣ ص ، ٢٠، المعجم الفلسفي : د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ ج ١/ ١١٩ ، موسوعة لالاند الفلسفية : أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠١ ، ص ١٠٧

(٣) راجع الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة د. محمد البهي مكتبة وهبة ط ١ ١٩٨١ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧ – ٢٨.

وهنا نتساءل: أي علم ينفي وجود الله والوحي؟ هل هو علم التجربة؟ وهل التجربة هي وحدها مصدر العلم؟ وعلوم الرياضة مصدرها التجربة أو العقل وحده؟ إذًا التجربة ليست هي مصدر العلم الوحيد، فلا داعي لإنكار وجود الله، فلا دليل على الإلحاد العلمي(١).

وتستخدم قوى الإلحاد المتمثلة في الماركسية أتباعها في فرض الرأي بالقوة، وحمل المجتمع بالقوة على رفض الإسلام، ويستخدمون في ذلك الرقابة على النشر، حتى في وسائل الإعلام، وإذا انتشر الفكر الماركسي في المجتمع ساد الإلحاد في كل جوانب الحياة(٢).

ويبدو لنا العلاقة القوية بين الإلحاد والفكر الماركسي والشيوعي، فهو من أهم خصائص هذا الفكر ومن أهم عقائده، ونشر هذا الفكر مثل هذه الآراء الباطلة ليس في موطنه فقط، بل في بلاد العالم عامة وفي بلاد العالم الإسلامي خاصة.

وأهل العلم في العصر الحديث يقرون بأن العلم ما خضع للتجربة والملاحظة، وأن الدين من علم الغيب ولا يخضع للتجربة، لذلك فهو بعيد عن اليقين، والعلم يقيني، أما الدين فهو غيبي أو ظني، لكن بالنظر إلى قانون التطور والذي هو من قوانين العلم، والمعارف البشرية خاضعة للتطور في التجربة والملاحظة، فالمعارف في الماضي التي نتجت عن التجربة تصبح ظنية، نظرًا للتطور في الأجهزة والوسائل أو تقدم الإنسان في الخبرة، وينبغي حينئذ ألا نحكم على العلم عن التجربة أنه يقين إلى الأبد، لاحتمال ظهور عوامل وأسباب تغير هذا الحكم، فلا انفصال بين العلم التجريبي والعلم الغيبي (٣).

---

(١) راجع الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٣ – ٣٥.

وقوانين العلمانية التي نشأت عليها وتبنتها الماركسية لم تسلم علميًّا مثل نظرية التطور والأصل الميكانيكي للذات(١).

ومبدأ "الواقع" الذي قال به أوجست كونت أكدته الماركسية لترفض الدين والأخلاق والقيم، والواقع هو الذي يدرك الأشياء لا الدين أو غيره وهو الذي يوجه الإنسان، والواقع هو المحسوس لا الدين أو العقل، ومن ثم أنكروا وجود الله (٢).

ونلحظ أنه توجد في الفلسفات المعاصرة من جدلية وبراجماتية ووضعية ــ دعوات صريحة إلى الإلحاد، وفي المنهج العلمي والاجتماع وقضايا التشريع وتدوين التاريخ والتربية والأدب كذلك (٣).

وترى هذه الفلسفات أن الدين عندهم هو عبادة المادة، وماعدا ذلك فهو مرفوض، وذلك في القرن الثامن عشر وما تبعه، وقد تأثروا في ذلك بمن سبقهم من بعض فلاسفة اليونان(٤).

أسس معارضة وجود الله:

ادعى كثير من مفكري العصر الحديث عدم وجود الله، وذلك نتيجة لما أحدثه العلم الحديث من تقدم واضح في المجالات كافة، فرأى أنه لم يعد محتاجا للإله؛ لأنه أحس بالاستغناء عن الله بالعلم وقوانينه.

---

(١) راجع العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق تأليف د/ محمد البهي، تقديم د/ إبراهيم الهدهد،هدية مجلة الأزهر ذي القعدة ١٤٤٠، ص١٧.

(٢) راجع الإسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ط ٢ ١٩٨٢ ص ١٠١.

(٤) راجع الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية: د. يحيى هاشم حسن فرغل، مطبوعات جامعة الإمارات ١٩٩٨ ص ١٦ - ١٧.

(٥) المصدر السابق ص ١٠١ - ١١٧.

ويمكن تقسيم المنكرين للألوهية إلى ثلاثة أقسام:

١ – الذين يدعون أزلية الكون وصدوره عن المادة بدون خالق.

٢ – الذين يقولون بالصدفة، أي: أن الكون خلق بالصدفة.

٣ – القائلون بالتطور(١).

إن الإلحاد يتنوع في عدة مجالات في المنهج العلمي، وفي التنظيم الاجتماعي؛ إذ يعد الدين طورًا متخلفًا من أطوار التقدم الاجتماعي، وفي قضايا التشريع، فيهاجم الدين في تعدد الزوجات وقوامة الرجل ونصيب المرأة في الميراث والحدود، وفي أساليب التربية وتدوين التاريخ وفنون الأدب كذلك نزوع إلى الإلحاد وإنكار الدين(٢).

وقامت دعواهم على ثلاثة أسس من العلوم الطبيعية والنظرية، وهي:

الأساس الأول: البيولوجيا:

رأي نيوتن أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة تحكم حركة الأجرام السماوية، ثم جاء بعده آخرون فرأوا أن ما يحدث في هذا الكون خاضع لقانون الطبيعة وهو قانون ثابت؛ فالإله إذًا هو المحرك الأول فقط لها، وهذا جعل هكسلي وهيوم وغيرهما يحاولون التخلص من فكرة وجود إله لهذا الكون (٣).

---

(١) العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية : د.فرج الله عبد الباري ، دار الآفاق العربية، القاهرة ط ١ ٢٠٠٤ ص ٥٦.

(٢) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية : د. يحي هاشم فرغل ، ص ١٨.

(٣) الإسلام يتحدى : راجع وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة د/ عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية – الكويت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ ه – ١٩٧٣ م. ص ٢٧.

أي: أن هؤلاء استندوا إلى أن الكون محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير، وهذا في نظرهم دليل على الاستغناء عن الإله؛ لأنه لا دور له حينئذ مع ثبات القوانين الكونية؛ فالمقدمات صحيحة؛ وهي ثبات القوانين، لكن النتيجة غير صحيحة؛ لأنه بالرغم من ثبات هذه القوانين إلا أنه لا يعني عدم وجود الله، وإلا فمن الذي يؤكد هذه القوانين ويُسيّرها إلا الله؟!

الأساس الثاني: علم النفس:

يرى علماء النفس أن الدين نتاج اللاشعور الإنساني، فقد اكتشف فرويد أن اللاشعور قد يقبل أفكار الطفولة ويحولها إلى أعمال غير عقلية، مثل العقائد الدينية فهي صدى أماني الطفولة التي لم يستطع الإنسان تحقيقها في طفولته، فينتظر الفرصة لتحقيقها.

الأساس الثالث: التاريخ:

إن مفكري العصر الحديث ادعوا أن الدين وُجدَ لأسباب تاريخية حدثت للإنسان، فلم يستطع التخلص من السهول والزلازل والأمراض، فافترض قوى تنقذه من تلك المصائب، فاستغل اسم الإله لقوته الهائلة التي تفوق قوة الإنسان، ومن ثم رأت الفلسفة الشيوعية أن الدين خدعة تاريخية نشأ من النظام البورجوازي، فنظرت إلى التاريخ في ضوء الاقتصاد [1].

وهكذا اعتمد المنكرون لوجود الله على ثلاثة أسس من الطبيعة وثبات قوانينه، بالإضافة إلى أساس من علم النفس الذي عدوه مجرد أمانٍ لم تتحقق، وأخيرًا إلى أساس من التاريخ الذي هو تعويض عجز الإنسان وضعفه.

وقد اقترنت حضارة الغرب بنزوع حادّ إلى الشك في وجود الله، والنظر إلى الأديان نظرة نقص، أو قبولها كرغبة وقتية اجتماعيا لأنصارها.

(١) نفس المصدر ص ٢٨ - ٣٠.

وصحة الفرد والجماعة وسعادتهما وقوتهما دليل على صدق الرسالات التي جاء بها الرسل، كما أن اختلال الفرد والجماعة وتعاستهما كما هو الحال في أوروبا دليل على فساد المباديء الإلحادية التي تمثل جوهر الثقافة الحسية المادية السائدة فيها(١).

ويشير الكسيس كاريل أن الوحي يشبه المعرفة الصوفية، ويرى أن البحث عن الله مشروع ذاتي لشخص ما فيقول: "إن الإنسان بترويض نفسه يحاول الوصول إلى حقيقة غير قابلة للمشاهدة بالرغم من أنها حقيقة فطرية أسمى من العالم المادي، وفي سبيل هذا الهدف يعرض الإنسان نفسه لامتحانات خطيرة لا يمكن لأحد أن يجرؤ على التصدي لها (٢).

وحين اكتشف العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن هذا الكون يسير وفق قانون العلة والمعلول، زعم الملحدون أن هذا الكشف بديل عن الله بالرغم من أن العلماء الذين اكتشفوه لم يزعموا ذلك كنيوتن وغيره(٣).

إن الباعث وراء الإلحاد الرغبة في شهوات يمنعها الدين، أو سلطة يقاومه أهلها من خلال الدين، أو التخلص من بعض المؤسسات الدينية، أو زعامة فكرية يحول الدين دون ظهورها(٤).

---

(١) نقد الثقافة الإلحادية د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، دار هجر، القاهرة ط ١ ١٩٨٥ ص ٢١ – ٢٣.

(٢) الدين في مواجهة العلم : وحيد الدين خان ، دار النفائس – بيروت ط ٤ ١٩٨٧ ص ١١٤.

(٣) المصدر نفسه ص٤٢.

(٤) لفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية د. يحي هاشم فرغل ص ٢٧ – ٢٨.

والإلحاد له أهداف عدة منها:

١ – إنكار الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

٢ – إنكار الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم

٣ – نصب أديان وضعية مستمدة من الإنسان لا من الوحي[١].

الرد على المعارضين:

أولًا: نقد الأساس الأول الطبيعي: إن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون، وليست تفسيرًا له، فالدين يبين أسباب ما وراء الكون، أما العلم الحديث فما هو إلا تفصيل لما يحدث، وليس تفسيرًا للواقع، إن العلم يجيب عن سؤال: "ما هذا؟" وليس عن سؤال "لماذا؟".

ولنضرب مثلا لذلك بعملية الغذاء وصيرورته جزءًا من الجسم، فيرى أنها كانت من قبل تُنسَب للإله، والآن أصبحت بالمشاهدة تفاعلًا كيماويًّا، لكن هذا لا يبطل وجود الإله؛ لأنه حينئذ نتساءل ما القوة التي أخضعت العناصر الكيماوية لتصير تفاعلاً مفيدًا؟

يجيب عن ذلك الأمر البروفيسور سيسيل هامان فيشير إلى أن الغذاء بعد دخوله في الجسم الإنساني يمر بمراحل كثيرة خلال نظام ذاتي، ومن المستحيل أن يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض، فقد صار حتمًا علينا بعد هذه المشاهدات أن نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه الثابتة التي خلق بها الحياة والإنسان[٢].

---

(١) جديد المنهج في العقيدة الإسلامية : د. يحي هاشم فرغل ، دار الآفاق العربية- القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٧ ص ٤٢٥.

(٢) لإسلام يتحدى وحيد الدين خان ص ٣١ – ٣٢ .

وهكذا نرى أن الطبيعة رغم ثبات قوانينها، فهي لا تنفي وجود الإله؛ لأنه هو الذي يمنحها الثبات والنظام والدقة والحركة والتوازن، فلا نرى فسادًا في الكون أو توقفًا في نظامه؛ ولذلك فإن استدلال المنكرين بثبات قوانين الطبيعة على إنكار وجود الله استدلال غير صحيح.

ثانيا: نقد الأساس الثاني النفسي: اللاشعور ودليل علم النفس: إن الوحي الإلهي يختلف عن اللاشعور الإنساني يقول وحيد الدين خان: "إن اللاشعور الإنساني فراغ في أصله، لا شيء فيه قبل مولد الإنسان، فهو مخزن للمعلومات والمشاهدات التي شاهدها الإنسان في حياته ولو مرة، ومن المستحيل اختزان حقائق لم يدركها من قبل، لكن الدين يشتمل على حقائق لم يعلمها بشر من قبل في أي زمان" (١).

فالوحي الإلهي يختلف عن اللاشعور الإنساني؛ لأنه يشتمل على أمور لم يعرفها الإنسان حدثت في الماضي كالحديث عن الأمم السابقة والأنبياء السابقين، وأمور سوف تحدث في المستقبل، فكيف تستقر في اللاشعور والإنسان لم يعرفها من قبل، ولا سبيل إلى معرفتها وإدراكها إلا من خلال الوحي الإلهي.

ثالثا: نقد الأساس الثالث التاريخي: الاستدلال بالتاريخ والاجتماع: إن معارضي وجود الله لا يدرسون الدين من وجه صحيح؛ لأنهم درسوا الدين على أنه مشكلة موضوعية، فيجمعون كل ما أُطلق عليه اسم الدين في أي فترة من الزمن، فيظنون أن هذا هو الدين.

وذكر (ويتكر شامبرز) في كتابه (الشهادة) حادثًا كان من الممكن أن يصبح نقطة تحول في حياته، فقد ذكر أنه بينما كان ينظر إلى ابنته الصغيرة

(١) المصدر نفسه ص ٣٤ – ٣٥.

لفتت أذناها نظره، فأخذ يفكر في أنه من المستحيل أن يوجد شيء معقد ودقيق كهذه الأذن بمحض اتفاق، بل لا بد أنه وجد نتيجة إرادة مدبرة، لكن (ويتكر شامبرز) طرد هذه الوسوسة عن قلبه، حتى لا يضطر أن يؤمن – منطقيًّا – بالذات التي أرادت فدبرت؛ لأن ذهنه لم يكن على استعداد لتقبل هذه الفكرة الأخيرة(١).

ويجدر بنا الإشارة إلى أن العلم الحديث يعتمد على التجربة والمشاهدة ورفض الدين على أساس هذا المنهج فيقول: "إن قضية العصر الحاضر ضد الدين هي قضية طريقة الاستدلال، أعني: الطريقة الجديدة التي كشفها العلم الحديث بعد التطورات في ميادينه العديدة، بحيث لم تعد تقف أمامها دعوى الدين وعقائده. هذه الطريقة الجديدة هي معرفة الحقيقة بالتجربة والمشاهدة، علي حين تتصل عقائد الدين بعالم ما وراء حواسنا، ولا يمكن إخضاعها للتجربة، فالدين كله مبني علي قياس واستقراء، وهذا هو ما يجعله باطلًا؛ لأنه ليس له أساس علمي"(٢).

وهذا غير صحيح؛ لأن هذا المنهج الجديد لا ينفي وجود أشياء لم تجرب مباشرة، كما لا ينفي قياس أشياء لم نشاهدها على أشياء شاهدناها تجريبيًّا، ويعد كالتجربة المباشرة، فليس كل الحقائق يكون طريق إثباتها عن طريق التجربة، لكن توجد بعض الحقائق يثبتها العلماء عن طريق الاستنباط، وإذا كان الإنسان يؤمن على كل حال بوجوده ووجود الكون أيضًا، فلا بد أن يؤمن بإله هذا الكون منطقيًّا، إذ لا معنى أن يؤمن الإنسان بالمخلوق وينكر وجود الخالق.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٢.
(٢) راجع الإسلام يتحدى وحيد الدين ص ٤٥.

إن الإيمان بالله والأمور الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) ليست ضد العقل على الإطلاق، إنما هي فوق مستوى العقل، فالعقل يصل بنا إلى مرحلة معينة ويقف، فيكمل الإيمان المسيرة نحو الله واللانهائية والحياة الآخرة، ومعظم العلماء كانوا يؤمنون بالله وبعضهم كان من رجال الدين، والحياة الأخلاقية هي في الحقيقة نابعة من الدين الصحيح.

وإن كان الملحدون يفتخرون بإلحادهم، فلينظروا نهاية الشيوعية المُلحدة في الاتحاد السوفيتي، وعودة الملايين إلى الإيمان.

وهنا يرد تساؤل: هل هؤلاء المُلحدون العقلاء سألوا أنفسهم: لو كان الدين جهلًا وعجزًا وتخلُّفًا وكذبًا وخداعًا، فلماذا تمسك الملايين ــ رجالًا ونساء وأطفالًا ــ بعقيدتهم، وضحوا بحياتهم وسُفكت دمائهم رخيصة على مذابح الإيمان..؟! ألاَ تحدثنا دماء ملايين الشهداء عن قوة وصحة وصدق الإيمان؟! تُرى هل لو تعرض هؤلاء المُلحدون، من أجل عقيدتهم، للعذابات التي تعرَّض لها المؤمنون، هل سيثبتون على عقيدتهم لحظة واحدة؟ أو أنهم سينكرون سريعًا الإلحاد؟

إن منكري الدين يرون أن الدين من المستحيل إثباته علميًّا، وغير قابل للإثبات بالتجربة [1].

ثانيا: القول بالصدفة:

لقد وجد قديما من ينكر وجود الله، ويذهب إلى أن وجود الخالق ليس ضرورة عقلية لتفسير ما في الكون من خلق وإبداع، إذ يمكن أن يكون كل هذا العالم بما فيه من الحياة والعقل، وما فيه من الإحكام والتناسق والتوازن الذي تحكمه سنن مطردة، وقوانين في غاية الدقة ـــ إنما وجد بمحض المصادفة والاتفاق دون أي غاية أو علة خارجية.

(١) الدين في مواجهة العلم وحيد الدين خان ص ١٤ .

وإذا كان القدامى من الماديين والدهريين قد ذهبوا إلى هذا القول فإن كثيرًا من علماء العصر الحديث ذهبوا إلى القول بالصدفة لئلا يفسروا الكون بخالق، من هؤلاء" أرنست هيكل" الذي ذهب إلى أن المادة هي الموجد الضروري للحياة، وأن الحياة ترجع إلى أصل واحد هو "المونيرا" التي تركبت اتفاقا من "الأوزت والهيدروجين والأكسجين"، ومنها تكونت الحياة(١).

وأيضا الفيلسوف الإنجليزى براتراند رسل(٢) يقول: "إن الكون الذي نشاهده الآن إنما وجد بمحض الصدفة"(٣).

ويلخص رسل تاريخ البشرية كلها في القول بالصدفة قائلًا: "ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير. إن نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده ليست إلا نتيجة لاجتماع جسمه عن طريق المصادفة"(٤).

وهاهو ذا الفيلسوف الألماني هيكل(٥) يقول: إن الموجود الضروري الوحيد هو المادة، وأن الحياة ترجع إلى أصل واحد؛ وهو المونيزا – التي

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم، دار المعارف ١٩٤٧، ص٣٨٠.

(٢) رسل: فيلسوف رياضي ومنطقي وعالم اجتماع إنجليزي ولد عام ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م وتوفي عام ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠ تلقى تعليمًا خاصًا، وحصل على منحة لدراسة الرياضيات في كلية ترينتى بجامعة كامبريدج، وكان من الطلاب المتميزين، وقد ترك مؤلفات كثيرة منها أسس الرياضيات، والدين والعلم، وفلسفتي كيف تطورت؟ وغيرها (انظر موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب روني ألفا مراجعة د. جورج نخل -دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ جـ١ صـ ٤٨٢-٤٨٤).

(٣) فلسفتى كيف تطورت لرسل. صـ٢ ترجمة عبد الرشيد الصادق مراجعة د/ زكى نجيب مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٦٠.

(٤) الله يتجلى في عصر العلم. تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين صـ ٥٧ ترجمة د/ الدمرداش عبد المجيد مراجعة د/ محمد جمال الفندى ، دار إحياء الكتب العربية.

(٥) هيكل هو: أرنست هيكل ولد عام ١٨٤٠هـ ومات عام ١٩١٩ فيلسوف واحدى وهو أستاذ علم الحيوان وله عدة مؤلفات منها الدين والتطور، تاريخ الخلق الطبيعي وغيرهما (انظر الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د. يحيى هاشم صـ ٢١٠ ط دار المعارف).

تركبت اتفاقًا من مركبات عضوية من الأزوت، والهيدروجين، والأوكسجين، والكربون، ثم تطورت على التوالي حتى تكونت جميع الكائنات الحية[١].

ويقول عالم الأحياء فرانسيس كريك: "إن استمرار النظام الموجود في العالم يحدث عن طريق المصادفة، وقد تتكرر هذه العلمية، فتحدث المرة بعد المرة، وذلك كلما ألقت الصدفة بظفرات جديدة نافعة، كما أن التحسين قد يضاف إلى التحسين، فإذا ما أعطينا هذه العملية الزمن الكافي فسينتج التطور كائنات متوافقة مع بيئتها على نحو ممتاز، والأمر لا يحتاج إلى أكثر من هذه الظفرات التي تحدث بالصدفة؛ للوصول إلى هذا الكمال في التصميم ولا يبدو أن هناك آلية، أو على الأقل آلية شائعة توجد هذا التغيير في الحين، بحيث لا تظهر إلا التغييرات النافعة، ثم يمكننا أن نجادل فنقول: إن مثل هذه الآلية الموجهة قد تكون على المدى الطويل صادقة أكثر مما ينبغي، فإنه إذا ما جاء وقت أزمة ظهرت الحاجة إلى ابتداع شيء جديد لا يمكن تحديد أهم ملامحه مسبقًا؛ ولهذا السبب لا بد أن تعتمد على الصدفة؛ فالصدفة هي المصدر الوحيد"[٢].

هذه هي شبه المصادفة كما عرض لها أصحابها، وهي شبه واهية يكذبها الواقع، ويرفضها المنهج العلمي الصحيح، كما يشهد على بطلانها شهادة العقلاء. وفيما يلي عرض لبيان فسادها:

---

(١) انظر: فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء. أرنست هيكل صـ ٢٩ نقله إلى العربية حسن حسين مطبعة الشباب ١٣٤٢ – ١٩٢٤، تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم صـ ٤٠ ط دار المعارف ط٥.

(٢) طبيعة الحياة- فرنسيس كريك صـ ٦٣-٦٤ ترجمة د. أحمد مستجير مراجعة د. عبد الحافظ حلمي سلسلة عالم المعرفة العدد ١٢٥ رمضان ١٤٠٨هـ-مايو ١٩٨٨ مطابع الرسالة بالكويت.

بطلان القول بالصدفة

إن إنكار وجود الله وقدرته في خلق هذا الكون لا يزال يردده بعض العلماء في كل عصر استنادًا إلى تقدم العلم ومنجزاته، وأيضًا إلى السنن الكونية الثابتة التي نادرًا ما تتخلف والتي يجريها الله بقدرته، لكنهم اعتقدوا أنه لا وجود له في هذا الكون طالما أن الطبيعة تسير دون خلل أو فساد، وادعوا كذلك أن الكون يسير وفق قوانين ثابتة لا تتغير؛ لأن العلم كشف لنا عن كل شيء، فلم تعد هناك حاجة للإله، والكون وما فيه نشأ عن طريق الصدفة، ويسير هكذا صدفة دون تدبير من الخالق أو الإله، وصارت هذه النظرية موضع دراسة وفكر وانتشرت في بعض العلوم كالرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها، وأثّرت كثيرًا في العصر الحديث بعد ظهور العلم الحديث وما أنتجه من آلات وأجهزة مكّنت الإنسان من إجراء أفعاله في وقت قصير وبسهولة، مما جعل كثيرًا من العلماء والمفكرين يؤيدونها ويدافعون عنها.

إن معارضي الدين يسلمون بكل الأنظمة العجيبة، والحكمة غير العادية، والروح التي تسري في الكون، ولكنهم يفسرونها بطريقة أخرى، إنهم عاجزون عن أن يجدوا فيها رمزًا أو إشارة لمنظم ومدبر، فإذا بهم يرون أن كل هذا جاء نتيجة صدفة محضة.

إن القول بالصدفة ينافي البداهة والفطرة التي تؤمن بالسببية إيمانًا أوليًّا لا يحتاج إلى تعلم أو تلقين، إن الذي أودع في ذات الإنسان ذلك الشعور القوي العميق بوجود الله، الذي نسميه" الفطرة" أودع كذلك في عقله قانونًا مطردًا ثابتًا يهدي إليه، وهو ما يعرف بقانون "السببية" أو "العلّية".

ومعنى هذا القانون: أن العقل البشري السليم يوقن- بدون تلقين ولا تعليم- أن لكل شيء في الوجود سببًا، ولكل أثر مؤثرًا، وأن شيئًا ما لا يندثر عن غير سبب.

ومن هنا لفت القرآن الكريم أنظار العرب إلى ما حولهم من مخلوقات؛ ليهتدوا بها إلى الإيمان بخالقها الواحد فقال:﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ سورة الغاشية آية ١٧ – ٢٠.

يتبين مما سبق أن الإيمان بالله الواحد الأحد ضرورة عقلية لتفسير نشأة هذا الكون، وبدون الإيمان يظل هذا السؤال الذي أثاره القرآن حائرًا قلقًا بغير جواب يشفي الصدور﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ سورة الطور آية ٣٥ –٣٦، وهم– بداهة– لم يخلقوا من غير شيء، وهم أيضا لم يخلقوا أنفسهم، ولم يدّع أحد منهم ولا ممن قبلهم أو بعدهم أنه خالق السموات والأرض.

إن العلم الحديث قد أغلق– إلى الأبد– باب القول بأن هذا الكون قد وجد بالمصادفة؛ لأن العلم الرياضي– الذي هو منظم حسابات العلم الحديث– قد بحث موضوع المصادفة على أساس رياضي، وبين بوضوح أن احتمال وجود الكون بالمصادفة هو "الصفر الرياضي" الذي يعرفه الرياضيون أصغر من أصغر عدد يمكن تصوره أو تحديده.

ولو افترضنا أن المادة وجدت بنفسها في الكون، وافترضنا أيضًا أن تجمعها وتفاعلها كان من تلقاء نفسها، ففي تلك الحال أيضًا لن نظفر بتفسير الكون، فإن صدفة أخرى تحول دون طريقنا، إن الرياضيات التي تعطينا الصدفة، هي نفسها التي تنفي أي إمكان رياضي في وجود الكون الحالي، بفعل قانون الصدفة.

لقد استطاع العلم الكشف عن عمر الكون وضخامة حجمه، والعمر والحجم اللذان كشف عنهما العلم الحديث غير كافيين _ في أي حال من الأحوال _ لتسويغ إيجاد هذا الكون عن قانون الصدفة الرياضي[1].

(١) الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان ص ٧٣.

ويمكننا أن نفهم شيئًا عن قانون الصدفة من المثال التالي: لو تناول الإنسان عشرة بنسات، وكتب عليها الأعداد من ا إلى ١٠، ثم وضعها في جيبه، وخلطها ببعض، ثم حاول أن يخرجها من الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي، بحيث تلقى كل بنس في جيبه بعد تناوله مرة أخرى.. فإمكان أن يتناول البنسات المكتوب عليه ٣ في المحاولة الأولى هو واحد على عشرة، وإمكان أن يتناول الرقمين (١، ٢) بالترتيب: واحد في المائة، وإمكان أن يخرج البنسات ١، ٢،٣ و٤ بالترتيب هو واحد في العشرة آلاف.. حتى إن الإمكان في أن تنجح في تناول البنسات ا إلى ١٠ بالترتيب واحد في عشرة بلايين من المحاولات.

لقد ضرب هذا المثال العالم الأمريكي الشهير كريسي موريسون ليبين الغرض من هذا المثل البسيط، هو أن نبين لك كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة، ولا يقدر أحد من الناس أن يقول كما قال هيكل إنه لو أُعطى ماء ومواد كيميائية ووقتًا كافيًا لاستطاع أن يخلق إنسانا [١].

ويرى موريسون أن هيكل أغفل وحدات الوراثة "الجينات"، وأغفل الحياة نفسها، لقد كان عليه لو استطاع أن يوجد وينظم الذرّات غير المرئية ووحدات الوراثة ويمنحها الحياة، وحتى في هذه الحالة ستكون النتيجة بنسبة ملايين إلى واحد، ولو أنه نجح في ذلك لنسبه إلى ثمرة عقله، لا إلى المصادفة[٢].

إن القائلين بالمصادفة لا يستطيعون أن يمنحوا الحياة للأشياء، ولو قاموا بصنع أي شيء في هذه الحياة لنسبوه إلى جهدهم وأنفسهم وعقولهم، حتى لو

(١) العلم يدعو للإيمان ا. كريسي موريسون ترجمة محمود صالح الفلكي، مكتبة النهضة المصرية، ط٥ ١٩٦٥ ص ٤٥ ، ٥١.
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠.

كان شيئًا بسيطًا، فكيف بهذا الكون العجيب الهائل الاتساع الذي يسير في دقة وإحكام وفي غاية التعقيد ويمنعوا أن ينسبوه إلى خالق خلقه ودبّر أمره وسيّره بدقة وحكمة؟

يقول كريسي موريسون: "إن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتدع مجالًا لوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة، وهذا يقودنا إلى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى، أي: إلى وجود الخالق" (١).

أي: أن العلم قد أثبت وجود الخالق عن طريق النظام والتوازن الذي يبدو واضحًا في هذا الكون، ويُعد هذا دليلًا واضحًا على وجود الله بدليل الغاية ودليل العناية.

ونلحظ أن عناصر الأوكسجين والهيدروجين وثاني أكسيد الكربون والكربون هي العناصر البيولوجية الرئيسية، وهي أساس الحياة، ولا يمكن وجودها مصادفة في وقت واحد في كوكب واحد بالنسب الصحيحة اللازمة للحياة، والقول بأن ذلك نتيجة المصادفة هو قول يتحدى العلوم الرياضية (٢).

فالحياة على الأرض لا يمكن أن تنشأ بهذا الترتيب وتلك الدقة مصادفة ومن تلقاء نفسها دون خالق يجمع تلك العناصر اللازمة للحياة ويرتبها بحكمة ودقة متناهية وفق قوانين وسنن إلهية تسمح بوجود الحياة على الأرض، ويؤكد ذلك كريسي موريسون فيقول: "ولا بد للحياة فوق أرضنا هذه من شروط جوهرية عديدة، بحيث يصبح من المحال حسابيًّا أن تتوافر كلها بالروابط الواجبة بمجرد المصادفة على أي أرض في أي وقت، لذلك لا بد أن يكون في الطبيعة نوع من التوجيه السديد" (٣).

---

(١) العلم يدعو للإيمان ا. كريسي موريسون ص ٤٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٧٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٥١.

ولذلك يقول د. بول كليرانس: "إن الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ ذاتيًّا من العدم المطلق، بل إن لهما بداية، ولا بد لكل بداية من مبدىء كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المعقد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية، كما أن وراءها توجيهًا وتدبيرًا خارج دائرة الإنسان، إنها بداية مقدسة وتوجيه مقدس وتدبير إلهي محكم "(١).

إن الكون هو موضع حياة الإنسان ومعاشه؛ ولذا فقد كان موضع اهتمام الإنسان في كل فترات التاريخ، فبحثه الفلاسفة وعلماء النفس والطبعيون وغيرهم، فرأي بعض الفلاسفة أن العالم قديم، أما المتكلمون فقالوا بحدوثه وخلقه عن الله، وبعض فلاسفة الإسلام قالوا بقدمه وخلقه عن الله وقدمه قدم زماني، وأثّر هذا الخلاف في العصور اللاحقة حتى العصر الحديث.

ويرى وحيد الدين أن الخالق هو الأزلي وليس الكون؛ لأننا لم نجد صفات للكون تثبت أنه خالق نفسه، ولقد كان القول بأزلية الكون مقبولا حتى القرن التاسع عشر، ولكننا اليوم بعد اكتشاف "القانون الثاني الديناميكيا الحرارية" Second Law thermo Dynamic نجد أن هذا الاستدلال فقد كل أساس يقوم عليه، وهذا القانون الذي يُسمّى "قانون الطاقة المتاحة" أو "ضابط التغير" (Low of Entropy) يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليًا، فهو يصف لنا أن الحرارة تنتقل دائمًا من (وجود حراري) إلى (عدم حراري)، والعكس غير ممكن، فإن ضابط التغير هو التناسب بين "الطاقة المتاحة" و"الطاقة غير المتاحة"، وبناء على ذلك فإن "عدم كفاءة عمل الكون" يزداد يومًا بعد يوم، ولا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات، وحينذاك لا تبقى أي طاقة مفيدة (للحياة والعمل)، وسيترتب على ذلك أن تنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية، وتنتهي – تلقائيًا – مع هذه النتيجة

(١) الله يتجلى في عصر العلم : جون كلوفر مونسما، ص ٤٠.

"الحياة"، وانطلاقًا من هذه الحقيقة القائلة بأن العمليات الكيماوية والطبيعية جارية وأن الحياة قائمة، يثبت لدينا قطعًا أن الكون ليس بأزلي؛ إذ لو كان الكون أزليًا لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمن بعيد، بناء على هذا القانون، ولما بقي في الكون بصيص من الحياة.

ويؤكد ذلك إدوارد لوثر كسيل فيقول: "وهكذا أثبتت البحوث العلمية – دون قصد– أن لهذا الكون بداية، فأثبتت تلقائيًّا وجود الإله؛ لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولا بد أن يحتاج إلى الخالق الإله" (١).

وهكذا يتضح لنا أن الكون حادث ومخلوق، وكل ما فيه من الكائنات لها بداية ونهاية، فالكون ليس أزليًّا، وهذا ما قرره العلماء؛ لأنه لو كان أزليا لنفدت طاقته منذ زمن بعيد، طبقًا للقانون الثاني للديناميكا الحرارية.

والقول بأن كل هذا الاتساق والنظام حدث صدفة واتفاقًا هو السذاجة بعينها، كقولنا: إن انفجارًا في مطبعة أدى إلى أن تصطف الحروف على هيئة قاموس محكم.

والكيميائي المغرور الذي قال: آتوني بالهواء والماء والطين وظروف نشأة الحياة الأولى وأنا أصنع لكم إنسانًا! هذا الكيميائي قد قرر احتجاجه سلفًا لكل العناصر والظروف، وهو اعتراف بالعجز عن تقليد صنعة الخالق الذي خلق كل شيء وخلق ظروفه أيضًا.

ولو أنا آتيناه بكل هذه العناصر وكل تلك الظروف، ولو أنه فرضًا وجدلًا استطاع أن يخلق إنسانًا. .. فإنه لن يقول: صنعته الصدفة... بل إنه سوف يقول: صنعته أنا!

كلما أعيتنا الحيلة في فهم شيء قلنا: إنه حدث صدفة.

هل هذا معقول؟

---

(١) الإسلام يتحدى: راجع وحيد الدين خان ص ٥٥.

بالصدفة تستدل الطيور والأسماك المهاجرة على أوطانها على بعد آلاف الأميال وعبر الصحارى والبحار.

بالصدفة يكسر الكتكوت البيضة عند أضعف نقطة فيها ليخرج.

بالصدفة تلتئم الجروح وتخيط شفراتها بنفسها بدون جراح.

إنها السذاجة بعينها التي لا تحدث إلا في الأفلام الهزلية الرخيصة.

وقد وجد الفكر المادي نفسه في مأزق أمام هذه السذاجة، فبدأ يحاول التخلص من كلمة صدفة ليفترض فرضًا آخرًا.. فقال: إن كل هذه الحياة المذهلة بألوانها وتصانيفها بدأت من حالة ضرورة. . مثل الضرورة التي تدفعك إلى الطعام ساعة الجوع، ثم بتعقد الظروف والبيئات والحاجات، فنشأت كل هذه الألوان.

وهو مجرد لعب بالألفاظ.

فمكان الصدفة وضعوا كلمة ((تعقد الضرورة)).

وهي في نظرهم تتعقد تلقائيًّا.. و تنمو من نغمة واحدة إلى سمفونية تلقائيًا[1].

إن المتأمل في العالم الذي نعيش فيه يستطيع أن يقف على بطلان الصدفة، فالكون من حولنا من مجراته إلى ذراته حوى نظامًا بديعًا محكمًا.

فالنظام المحكم والقوانين الكونية التي لا تختلف يوما عن نظامها؛ فهذه الشمس ما طلعت يومًا، ولا غربت في غير موعد طلوعها أو غروبها، ومثلها مثل القمر والنجوم، حتى إن علماء الفلك ليقولون لك: إنه سوف يحدث كذا في يوم كذا بناءً على حسابات دقيقة، قائمة على دراسة النظام الكوني المحكم، والأمر لا يقتصر على تلك العظائم من المخلوقات فإن أصغر وحدة للمادة في هذا الكون ألا وهي الذرة تقوم على نظام محكم؛ حيث النواة

(١) رحلتي من الشك إلى اليقين د. مصطفي محمود ، ط ٥ دار المعارف ص ٤٧ – ٤٨

التي يدور حولها البروتون، والإلكترون، وهذا النظام مطرد في كل أجزاء المواد، والصدفة أمر لا يتفق معه كل هذا الإحكام والاطراد، فحينما اتفق أو اجتمع شيء مع شيء أو مع أشياء فهذا لا يكون صدفة؛ فهو يتنافي مع ما أشرنا إليه من الأحكام الدقيقة الموجودة في نظام الكون البديع.

لقد جعل العلماء من عناية الله تعالى بالكون دليلًا واضحًا على فساد القول بالصدفة، فالكون المادي يسوده النظام، ويسيطر عليه الإحكام، وليست الفوضى، وتحكمه القوانين، وليست المصادفة أو التخبط.

وهذا الدليل شائع ومنتشر، بين فلاسفة الإسلام، متكلمين، وإشراقيين، ومشائين، فهم جميعا يستدلون به على وجود الله تعالى، وفي الوقت نفسه يستبعدون به فكرة المصادفة والعبث في هذا الكون وموجوداته، وقد عرض له الإمام الأشعري [١]، كما استدل به إخوان الصفا[٢]، وكذلك ابن رشد[٣]، وغيره.

فها هو ذا الكندي يقول: "فإن في نظم هذا العالم وترتيبه وفعل بعض لبعض، وتسخير بعض لبعض، واتفاق هيئته على الأمر الأصلح في كون كل كائن، وفساد فاسده، وثبات كل ثابت، وزوال كل زائل ــ لأعظم أدلة على أتقن تدبير، ومع كل تدبير مدبر، وعلى أحكم حكمة ومع كل حكمة حكيم"(٤).

---

(١) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ. للأشعري ص١٨-٢٠

(٢) انظر: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ط ص٣٣٣. تقديم. طه حسين وأحمد زكى باشا- تصحيح خير الدين الزركلي-مصر المطبعة العربية ١٩٢٨.

(٣) انظر: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة- لابن رشد ص١٤٨-١٥١.

(٤) رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق د/محمد عبد الهادي أبو ريده صـ٢١٥. دار الفكر العربي ١٩٥٠م.

فكل شيء وجد بدقة محكمة لا مجال للمصادفة فيها؛ لأنها تخبط وعشواء، وهذا خلاف ما عليه الواقع.

ونظام العالم وترتيبه على هذا النحو يرفض فكرة المصادفة، ويجعل القائلين بها يقعون في مأزق واضح؛ لما هو معروف عنها أنها تعني العشوائية وعدم الدقة والنظام.

ومع هذا فإذا كان هذا الدليل يستدل به على بطلان الصدفة فأرى أنه يصلح للاستدلال به على فساد القول بقدم العلم كما يمكن الاستدلال به على فرض القول بالحدوث.

فهو لا يختص بفرض دون الآخر، وهذا أهم ما يميز هذا البرهان عن برهان الحدوث الذي يقوم على حدوث المادة(١).

وفي رأيي أن هذا الدليل يكشف لنا عن عظيم قدرة الله تعالى في خلقه؛ ولهذا أعطاه القرآن الكريم قدرًا كبيرًا من الاهتمام.

قال تعالى:﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾(٢).

يقول ابن رشد وهو يتقدم إلى الجمهور بإرشاده كي يعرفوا الاستدلال على وجود الله تعالى: فيقول:

"الطريق التي نبه بها الكتاب العزيز عليها، ودعا الكل من بابها تنحصر في جنسين:

١ – في العناية بالإنسان وخلق جميع الأشياء من أجله، ولنسمِّ هذا دليل العناية.

---

(١) انظر: الله خالق الكون أ-جعفر الهادي ص١٥٣ دار الاضواء بيروت ط٢ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢) سورة ق الآيات ٦-٨.

٢ – ثم ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء، مثل: اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسمِّ هذا دليل اختراع".

ويرى ابن رشد أن هذين الدليلين هما دليل الشرع، ثم يقول أبو الوليد: "إن جميع الموجودات في هذا الكون مناسبة ومفيدة لوجود الإنسان، كوجود الشمس والقمر والنبات والحيوان والأمطار والبحار والهواء والنار، بل في أعضاء الإنسان ذاتها دليل على أن موجد هذا العالم قدير حكيم عليم لطيف بعباده"، ثم يواصل تحليله البديع فيقول: "لما كانت جميع هذه الموجودات مخترعة من العدم بعد أن لم تكن ـــ دلَّ على أنه لا بدّ من وجود مبدع صانع لهذا الكون قادر على الاختراع لاستحالة تحولها من العدم إلى الوجود بنفسها، وذلك المبدع الخالق هو الله لا إله إلا هو ولا رب سواه". (١)

وإذا كان الماديون يقولون بالمصادفة كتفسير لوجود المادة وحركتها ونظامها فهم يلتزمون أيضًا بالتدبير والقصد؛ لاعترافهم بالوعى والعقل كحالة راقية من أحوال المادة، وهنا نسألهم عن وجود العالم وتقدمه: أهو أجدر أن يعزى إلى الصدفة أو أجدى أن يعزى إلى التدبير والقصد؟(٢).

وكما يقول سقراط: أرأيت لو عرضت عليك مصنوعات مختلفة في غاية الدقة والمنفعة فأيها أولى بأن نظنه من نتائج العقل والحكمة؟ فكانت الإجابة بأن بداهة العقل تقتضى أن نقول بأن الذي له حكمة ظاهرة ومنفعة بينة هو من فعل العقل والحكمة(٣).

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد المؤلف: أبو أحمد محمد أمان: الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الحادية عشرة – صـ ٨٣.

(٢) مداخل إلى العقيدة. د/ يحيى هاشم. صـ ٢٠٥. مطبعة التقدم ط ١٩٨٥.

(٣) انظر: الإسلام في عصر العلم-محمد فريد وجدى صـ ١٦٢ –١٦٨.دار الكتاب العربى بيروت. ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م ط٣.

وكذلك أثبت العلم الحديث ــ بما لا يدع مجالًا لأدنى شك ــ أن هذا العالم تكوّن بمحض إرادة قوة عاقلة تامة التصرف، وهو مسخر تحت سلطانها، يشهد لذلك أوضاعه وأحجامه وحركاته وطبائعه، ولإثبات هذه الحقيقة نراهم ساقوا حملة أدلة من أهمها ما يلي:

١ ـــ الأنظمة المعقدة الموجودة في هذا العالم:

لقد جعل العلماء من الصورة غير العادية من التعقيد الموجود في هذا الكون دليلًا واضحًا على فساد القول بالصدفة "فالتعقيد الهائل في ظاهرة الحياة والانسجام الهائل، ووضع كل شيء في محله ـــ إنما يدل دلالة واضحة على علم وإرادة وقدرة وراءها موجد أوجدها على هذا النحو"(١).

٢- التوازن المحكم الموجود في كل شيء:

لقد أثبتت جميع الدراسات العلمية بما لا يدع مجالًا للشك أن هذا العالم يسير وفق توازن محكم لا مثيل له:

"فهذه الكواكب السابحة في الفضاء على مدارات منتظمة تشعر بجاذبها المتبادل وجريها إلى غايتها، وانتهائها إلى نهايتها بأنها مقودة، بنظام دقيق ينبىء عن قصد حكيم، وتدبير سديد أريد به قيامها على هذا الترتيب البديع لإنتاج أعراض بعيدة من معمارية الكون وتحليته بكل الإبداعات الممكنة"(٢).

كل هذا يؤكد أن هذا العالم يسير وفق قوانين ثابتة وأسس لازمة لوجوده، ففروع العلم تثبت ذلك.

٣- إيجاد هذه المخلوقات على نظام بديع.

لقد جعل القرآن من إيجاد هذه المخلوقات على النسق التي هي عليه دليل على وجود مبدع أبدعها وهو الله تعالى.

---

(١) الله جل جلاله- سعيد حوى ص٤٣ مكتبة وهبه.

(٢) على أطلال المذهب المادى محمد فريد وجدى جـ١ صـ١٠١.

قال تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجا وقمرًا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾(١).

فهذه السماء بما اشتملت عليه من الكواكب ومنازل لهذه الكواكب، بالإضافة إلى الشمس والقمر؛ فضلًا عن تعاقب الليل والنهار بصورة منظمة لافتة للأنظار تؤكد وجود خالق لها على أسس محكمة ودقة لا مثيل لها، الأمر الذي يستوجب الإقرار بوجوده والشكر على هذه النعم العظيمة (٢).

لذا استدل الإمام الرازي بأحوال الأفلاك على وجود الله تعالى بوجوده، نذكر منها:

أولا: تقدير ذوات الأفلاك بمقدار معين مع أن العقل يقضي بأن الأزيد منه والأنقص منه جائز؛ فاختصاص كل واحد منها بمقداره المعين لا بد أن يكون بتخصيص مخصص، وذلك يدل على افتقار خلق السموات والأرض إلى فاعل مختار.

ثانيا: إن هذا الترتيب العجيب في تركيب هذه الأفلاك وائتلاف حركاتها، أترى أنها مبنية على الحكمة؟ أم هي واقعة بالجزاف والعبث؟

والثاني باطل وبعيد عن العقل؛ فإن من جوز قيام بناء رفيع بانضمام التراب والماء وتولد منهما لبنات صار بها البناء قضى عليه بالجنون.

ونحن نعلم أن تركيب هذه الأفلاك وما فيها من الكواكب وما لها من الحركات ليس أقل من ذلك البناء، فثبت أنه لا بد فيها من رعاية الحكمة، والعقل يقضي بأنه لا بد من مدبر قاهر غالب على الدهر والزمان يحركها

---

(١) سورة الفرقان الآيتان ٦١ – ٦٢.

(٢) انظر: تفسير الزمخشري ط دار الكتاب العربي بيروت.جـ ٣ صـ ٢٩٠، تفسير الرازي م. ١٢. جـ٢٤ صـ ١٠٧-١٠٨.

لأسرار خفية ولحكم لطيفة هو المستأثر بها والمطلع عليها، وليس عندنا إلا الإيمان بها على الإجمال(١).

وهذا الدليل أيضا نجده عند الماتريدية؛ فقد ذكر الإمام النسفي هذا الدليل في التبصرة. وبحر الكلام وخلاصته الاستدلال باجتماع المتضادات واختلاف المتجانسات مما يدل على أن هناك صانعًا حكيمًا أوجدها على خلاف ما تقتضى ذواتها، ذلك "أن كل عين من أعيان العالم اجتمعت فيه الطبائع المتضادة التي من شانها التباين ومن طبعها التنافر، ولو تركت وطباعها لتباينت وتنافرت، فدل وجودها على خلاف ما يقتضي شأنها أن ذلك ليس من قبل ذواتها، بل بقادر لا يغالب وعزيز لا يمانع ... وكذا اختلاف المتجانسات في الوقت وتباين المتماثلات بالمحل واجتماع المختلفات في الجوهر ـــــ يقتضي أن مقدمًا قدم، ومؤخرًا أخر، وجامعًا جمع، ومفرقًا فرق؛ إذ لو كان الأمر على مقتضى ذات كل منها لما اختلفت المتجانسات في الوقت، ولا تباينت المتماثلات بالمحل؛ لاستواء كل من ذلك فيما يقتضيه الذات، ولا اجتمعت المختلفات في الجواهر؛ لتفرق ما يقتضيه ذات كل واحد منها، وحيث كان الأمر على هذا ووجد اختلاف فيما توجب الذوات التسوية واستواء فيما توجب الذوات التفرقة ـــــ كان ذلك دليلًا على وجود صانع له كامل القدرة نافذ المشيئة يفعل ما يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة ومشيئته النافذة(٢).

(١) ينظر مفاتيح الغيب للإمام الرازي ٤/ ١٨٨.

(٢) ينظر تبصرة الأدلة: أبو معين النسفي تحقيق كلود سلامة ط دمشق ١٩٦٠ ج ١/ ٧٩، ٨٠.

وهو متابع لأبي منصور في هذه النقطة[١]، وقد زادها إيضاحًا في بحر الكلام بضرب أمثلة عليها.

ففي الشتاء نجد بعض الأشجار تفسد وتتناثر كالحشيش والكلأ، وبعضها لا يفسد كالآس والصنوبر والعرعر، ولو كان ذلك من مقتضى طبعها لما اختلفت.

ونرى أشجارًا في مكان واحد ثمارها مختلفة وألوانها مختلفة وطعمها مختلف مع اتحاد الماء والهواء والأرض وغير ذلك من الأمور المحيطة بها، فلو كان وجودها من مقتضى طبعها لما اختلفت مع اتحاد الأمور المذكورة، فدل كل ذلك على أن هناك صانعًا حكيمًا قادرًا عليمًا أوجدها على هذه الصورة والأشكال[٢].

وقد جعل النسفي هذه الدلالة مستنبطة من قوله تعالى: {وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ} إلى قوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٣]، ولعل أبا المعين النسفي يرى أن هذه الدلالة تابعة لدلالة التخصيص، فهي مجرد إيضاح لها وتفسير؛ ولذا لم يذكرها في التمهيد اكتفاء بذكر أصلها، غير أنني آثرت أن أجعلها دلالة مستقلة؛ لأن القرآن قد أشار إليها في كثير من آياته، فهذا الدليل هو ما يعرف بدليل العناية والنظام.

وإذا ثبت أن للعالم محدثًا أحدثه وصانعا صنعه فلا يتوهم أن ذلك المحدث هو ذات العالم أو نفسه؛ لما مر من الأدلة، ولأنه لو أحدث نفسه بنفسه لم يخل ذلك من حالين:

---

(١) ينظر التوحيد للإمام الماتريدي ١٧، ١٨.

(٢) ينظر: بحر الكلام: أبو معين النسفي تحقيق د. عبد الله إسماعيل ط مكتبة الكليات الأزهرية ج ١٥، ١٦.

(٣) سورة الرعد الآية: ٤

أحدهما: أن يحدث نفسه بعدما صار موجودًا، وهذا محال لأمرين:

أن ذلك يقتضي وجوده قبل إحداث نفسه، لا بإحداث محدث وتخصيص مخصص إياه بالحدوث. وهذا باطل.

ويقتضي أيضًا أن يوجد نفسه بعدما صار موجودًا، وإيجاد الموجود مستحيل.

وثانيهما: أن يوجد نفسه حاله كونه معدومًا. وهذا باطل؛ لأن إيجاد الفعل من المعدوم محال، والدليل عليه أن الإنسان مع ما منحه الله من القوة والتدبير والفهم حتى صار يغلب الحيوانات بحيله، فيستعملها في حوائجه كيف شاء وأراد، فيستسخر الفيلة العظام والأسود الضاربة والحيات الناهشة. ... وهو في حال قوته لا يستطيع أن يغير صفة دميمة فيه إلى أحسن منها فلأن لا يتأتى إيجاد أصل العالم مما هو معدوم أولى، وإذا بطل هذا الاحتمال أعني: احتمال أن يوجد العالم نفسه، مع ما ثبت من الأدلة السابقة ثبت أن له محدثًا أحدثه وصانعا صنعه خصه بجانب الوجود على جانب العدم، وذلك المخصص ليس هو ذاته ولا نفسه، إنما هو صانع قادر مختار وهو الله تعالى(١).

فالقول بالصدفة ينافي البداهة والفطرة التي تؤمن بالسببية إيمانًا أوليًّا لا يحتاج إلى تعلم أو تلقين، إن الذي أودع في ذات الإنسان ذلك الشعور القوي العميق بوجود الله الذي نسميه" الفطرة" ـــ أودع كذلك في عقله قانونًا مطردًا ثابتًا يهدي إليه، وهو ما يعرف بقانون "السببية" أو "العلّية".

إن القول بالصدفة مصطلح يستعمله كثير من الناس على أساس غير علمي، فقد شاع استخدامها بأنها تعني التقابل القائم بين شيئين، والصحيح أنها

(١) ينظر تبصرة الأدلة ١٠/ ٧٩.

كلمة تعني انعدام السبب الفاعل والسبب الغائيّ، وهذا يستلزم غيبة النظـــام، وغياب العناية والقصد يعني الاعتباط والفوضى، وكل ما يترتب على هـــذا المعنى من لوزام منطقية أو واقعية.

الخاتمة

١) أثبت القرآن أن كل ما في الكون من مخلوقات وما فيها من إبداع وإحكام، يقرّ بوجود الخالق البارئ ؛ مما يجعل الإنسان يستحضر في نفسه عظمة الله وجلاله في كل مكان وزمان، كما أن الإنسان العاقل المتأمل في الكون يجد فيه آيات باهرة ودلائل ناطقة على وجود الله وبراهين ساطعة على إبداعه المحكم، وصنعه المتقن، وآثاره المعجزات ، ومن ينكر وجود الله لا دليل لهم ، حتى أدلتهم في إنكار وجود الله تثبت وجود الله ، أي أنه يؤكد قيمة العقل تأكيد الإيمان .

٢) فى هذا البحث يتبين جهود المتكلمين فى مسألة حدوث العالم، وقد ذهب المتكلمون جميعهم الى القول بحدوث العالم ، والذي يتكون من أصول أربعة واستخدموا فى ذلك دليل الجواهر والأعراض .

٣) إن قياس الغائب على المشاهد في الاستدلال على إثبات الصانع، هو قياس العالم المحدث على تصرفات المخلوقين وأفعالهم المحدثة بجامع احتياج كل إلى محدث ، وهذا يؤدي إلى إثبات وجود الله .

٤) استند المتكلمون إلى خلق الإنسان والكون في إثبات وجود الله ، وكذلك العناية والحكمة والاختراع ، وأيد العلم الحديث رأى المتكلمين فى هذه القضية .

٥) إن الإلحاد يتنوع في عدة مجالات في المنهج العلمي ، وفي التنظيم الاجتماعي حيث يعد الدين طورا متخلفا من أطوار التقدم الاجتماعي ، وفي قضايا التشريع فيهاجم الدين في تعدد الزوجات وقوامة الرجل ونصيب المرأة في الميراث والحدود ، وفي أساليب التربية وتدوين التاريخ وفنون الأدب كذلك نزوع إلى الإلحاد وإنكار الدين

٦) إن أهل العلم في العصر الحديث يقرون بأن العلم ما خضع للتجربة والملاحظة ، وهو يقيني ، وأن الدين من علم الغيب ولا يخضع للتجربة فهو ظني ، والمعارف البشرية خاضعة للتطور في التجربة والملاحظة ، فالمعارف في الماضي التي نتجت عن التجربة تصبح ظنية الآن ، نظراً للتطور في الأجهزة والوسائل أو تقدم الإنسان في الخبرة ، وينبغي حينئذ ألا نحكم على العلم من خلال التجربة أنه يقين إلى الأبد ، لاحتمال ظهور عوامل وأسباب تغير هذا الحكم ، فلا انفصال بين العلم التجريبي والعلم الغيبي .

٧) إن المعارضين لوجود الله تستند دعواهم إلى علوم الفلك والبيولوجيا وعلم النفس والتاريخ وغيرها من العلوم .

٨) إن إنكار وجود الله لايستند إلى دليل علمي ، ودعاوى المنكرين تتناقض مع بعضها ، وتثبت وجود الله من حيث لا يشعرون .

٩) القول بخلق العالم بالصدفة ينافي العقل والعلم معا، فلا يوجد دليل علمي على القول بالصدفة .

١٠) استند أهل العلم الحديث إلى بعض الأدلة لإثبات خلق الله للعالم ، مثل الأنظمة المعقدة والتوازن المحكم في العالم وإيجاد المخلوقات على نظام بيع ، كل هذا وغيره يثبت وجود الله .

قائمة أهم المصادر والمراجع

قائمة المراجع

١) **الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد :** الجوينى، تحقيق د. محمد يوسف موسى و د. علي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي مصر ١٩٥٠

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود محمد بن مصطفى : ، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠١٠ .

٣) أسطورة المادة : ديفيز بول وجون جربين ، ترجمة علي يوسف علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٨ .

٤) الإسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر : د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ط ٢ ١٩٨٢

٥) الإسلام فى عصر العلم–محمد فريد وجدى.دار الكتاب العربى بيروت. ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م

٦) **الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة** : د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ط ١ ١٩٨١

٧) الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د. يحيى هاشم ط دار المعارف) .

٨) **الإسلام يتحدى** : وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان ، مراجعة د/ عبد الصبور شاهين ، دار البحوث العلمية – الكويت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ ه – ١٩٧٣ م.

٩) **الإنسان والكون في الإسلام** : د.محمد أبو الوفا التفتازاني ، دار الثقافة القاهرة ١٩٧٥ م

١٠) بحر الكلام أبو معين النسفي ، تحقيق د. عبد الله إسماعيل ط مكتبة الكليات الأزهرية .

١١) الباقلانى وأراؤه الكلامية د/محمد رمضان، ط الأمانة بغداد ١٩٨٦.

١٢) **البحر المحيط** : أبو حيان الأندلسي ، قرظه د / عبد الحي الفرماوي ، دراسة وتحقيق د. عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي – ١٩٩٣ م

١٣) البصائر النصيرية في علم المنطق: زين الدين بن سهلان الساوي تعليق الشيخ محمد عبده ط المطبعة الأميرية ببولاق مصرط١- ١٨٩٨م

١٤) **تاريخ الفلسفة الحديثة :** يوسف كرم ، دار المعارف ١٩٤٧

١٥) **تاريخ الفلسفة في الإسلام** : دى بور ، تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية، بيروت.

١٦) تبصرة الأدلة : أبو معين النسفي ، تحقيق كلود سللامة ط دمشق ١٩٦٠

١٧) **تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية :** د. يحي هاشم فرغل ، دار الآفاق العربية- القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٧

١٨) تفسير الزمخشرى ط دار الكتاب العربي بيروت .جـ ٣

١٩) **تفسير القرآن العظيم** : ابن كثير ، مكتبة دار التراث القاهرة ج ٤ .

٢٠) **التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض** : ابن متوية تحقيق د/سامى نصر لطف ، د/فيصل بدير عون ،تصدير د/إبراهيم مدكور. دار الثقافة (د.ت)

٢١) **التذكير القويم في تفسير القرآن الحكيم** : وحيد الدين خان ، دار الوفاء ، المنصورة ، ترجمة أنيس لقمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ .

٢٢) **التعريفات** : الجرجانى تحقيق إبراهيم الأبيارى دار الريان للتراث ١٩٨٣م .

٢٣) **التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة:** الباقلانى. قدم له محمود محمد الخضيرى ، محمد عبد الهادى أبو ريدة دار الفكر العربى –القاهرة ١٩٤٧ .

٢٤) **التوحيد :** الماتريدي ، حققه و قدم له د.فتح الله خليف ،دار الجامعات المصرية (د.ت)

٢٥) **جامع البيان عن تأويل أى القرءان :** ابن جرير الطبرى ، قدم له الشيخ خليل الميس ، (تخريج صدقى جميل العطار) ، دار الفكر بيروت ١٩٩٩ .

٢٦) **الجامع الصحيح :** الترمذى كتاب تفسير القرآن سورة هود ح(٣١٠٩) ج٥ تحقيق كمال يوسف الحوت – دار الفكر – بيروت ١٩٨٨م .

٢٧) **الجامع لأحكام القرآن :** القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد : ، دار عالم الكتب، الرياض ٢٠٠٣

٢٨) **حاشية على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية** : محمد عبده ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الأولى ١٩٠٤ .

٢٩) **دائرة المعارف الإسلامية** : دي بور ، مادة (خلق) المجلد الثامن

٣٠)ديوان الأصول لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابوري تحقيق د/محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩م

٣١) الدين في مواجهة العلم : وحيد الدين خان ، دار النفائس – بيروت ط ٤ ١٩٨٧

٣٢) **رحلتي من الشك إلى اليقين** : د.مصطفى محمود ، ط ٥ دار المعارف.

٣٣) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ط ص٣٣٣ . تقديم. طه حسين وأحمد زكى باشا- تصحيح خير الدين الزركلى-مصر المطبعة العربية ١٩٢٨ .

٣٤) رسائل الكندى الفلسفية. تحقيق د/محمد عبد الهادى أبو ريده. دار الفكر العربى ١٩٥٠م.

٣٥) **سنن ابن ماجه** ط دار إحياء الكتب العربية

٣٦) **شرح الأصول الخمسة** : القاضى عبد الجبار تحقيق د. عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة الطبعة الثالثة ١٩٩٦

٣٧) الشيوعية منشأ ومسلكاً د. دندل جيد. بتصرف مكتبة المنار ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م ط٣.

٣٨) ٣٨ - صراع مع الملاحدة حتى العظم د/ عبد الرحمن حبنكه الميدانى دار العلم بيروت ط٤ ع ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م.

٣٩) طبيعة الحياة- فرنسيس كريك ترجمة د. أحمد مستجير مراجعة د. عبد الحافظ حلمى سلسلة عالم المعرفة العدد ١٢٥ رمضان ١٤٠٨هـ-مايو ١٩٨٨ مطابع الرسالة بالكويت.

٤٠) على أطلال المذهب المادى محمد فريد وجدى جـ١ ط دائرة المعارف القرن العشرين بمصر ١٩٢١.

٤١) العقل والنقل عند ابن رشد المؤلف: أبو أحمد محمد أمان : الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الحادية عشرة

٤٢) العقل ودوره في الاستدلال على وجود الله عند المتكلمين د / سعيد الهواري بحث في مجلة كلية دراسات بنات بني سويف العدد الرابع عام ٢٠١٢

٤٣) العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية : د.فرج الله عبد الباري ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ط ١ ٢٠٠٤

٤٤) العقيدة فى ضوء العلم الحديث د. سعد الدين صالح جـ١ ـ دار الصفا للطباعة ط٢ ١٤٠٧ - ١٩٩١.

٤٥) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق : د. محمد البهي ، تقديم د/ إبراهيم الهدهد ، هدية مجلة الأزهر ذي القعدة١٤٤٠

٤٦) العلم يدعو للإيمان : اكريسي موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٥ ١٩٦٥ .

٤٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني: ، رقم كتبه / محمد فؤاد عبد الباقي ، أخرجه وصححه / محب الدين الخطيب ، دار الفكر١٩٨١.

٤٨) فصل المقال فى فلسفة النشوء والارتقاء . أرنست هيكل نقله إلى العربية حسن حسين مطبعة الشباب ١٣٤٢ — ١٩٢٤،

٤٩) **فلسفتى كيف تطورت لرسل. ترجمة عبد الرشيد الصادق مراجعة د/ زكى نجيب مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٦٠**

٥٠) **الفكر المادي الحديث :** د. محمود عتمان ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر – المنصورة – ١٩٨٤ م .

٥١) **الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية** : د. يحي هاشم حسن فرغل ، مطبوعات جامعة الإمارات ١٩٩٨

٥٢) **الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر. جان فال صـ ٥٧ ترجمة فؤاد كامل –مراجعة د/ فؤاد زكريا. دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨.**

٥٣) **قضية الألوهية في الفكر الإسلامي أ.د/محمد العدل الباز ط ١٩٨٦م.**

٥٤) **قضية البعث الإسلامي :** وحيد الدين خان ، ترجمة محسن عثمان الندوي ، دار الصحوة ١٩٨٤

٥٥) **القاموس المحيط** : الفيروزابادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م . ج ٣

٥٦) **القول السديد في علم التوحيد** : الشيخ محمود أبو دقيقة ط مجمع البحوث الإسلامية

٥٧) **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ضمن فلسفة ابن رشد** : لابن رشد ، تحقيق د/ محمود قاسم مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ .

٥٨) **الكون والإعجاز العلمي** : د. منصور حسب النبي ، دار الفكر العربي – الطبعة الثالثة – ١٩٩٦م .

٥٩) **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع الإمام أبو الحسن الأشعري، صححه وقدم له وعلق عليه د/ حموده غرابة ، المكتبة الأزهرية للتراث**

٦٠) **الله :** العقاد محمود عباس : ، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.

٦١) **الله جل جلاله** : سعيد حوى، دار السلام ط الثانية ١٩٩٠.

٦٢) **الله خالق الكون أ-جعفر الهادى دار الاضواء بيروت ط٢ ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .**

٦٣) **الله يتجلى في عصر العلم :** جون كلوفر مونسما، ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، راجعه د . محمد جمال الدين الفندي ، دار إحياء الكتب العربية

٦٤) **المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ط الدار المصرية للتأليف والنشر**

٦٥) **مختار الصحاح :** محمد بن أبى بكر الرازى ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، مطبعة الحلبى

٦٦) **المختصر في أصول الدين** : القاضى عبد الجبار ، ضمن رسائل العدل والتوحيد تحقيق د/محمد عمارة ، دار الشروق بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م

٦٧) مداخل إلى العقيدة.د/ يحيى هاشم. مطبعة التقدم ط ١٩٨٥.

٦٨) مشكلة الخلق في الفلسفة الإسلامية، د/محمد نبيل طاهر، رسالة دكتوراه كلية أصول الدين بالقاهرة، تحت رقم ٩٣٠ لسنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦٩) **مشكلة السببية وعلاقتها بالغائية عند فلاسفة الإسلام :** د/ فتحى حسنين السعدنى _، رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية الآداب ، جامعة المنوفية ١٩٩٦م.

٧٠) **المعجم الفلسفي** : د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢

٧١) **المعجم الفلسفي** : مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٣ م

٧٢) **المعجم الفلسفي** : مراد وهبة دار قباء الحديثة ٢٠٠٧

٧٣) المغنى في أبواب والتوحيد العدل للقاضي عبد الجبار تحقيق د. محمود قاسم ود.إبراهيم مدكور وآخرون الدار المصرية جـ٧

٧٤) **مفاتيح الغيب :** فخر الدين الرازى : ، دار الغد العربى ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٧٥) **المنية والأمل : لابن المرتضى الزيدي دار المطبوعات الجامعية إسكندرية ١٩٧٢**

٧٦) **موسوعة لالاند الفلسفية** : أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليـــل ، منشورات عويدات بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠١ .

٧٧) موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ــ روني ألفا مراجعة د. جورج نخل – دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ ١ج).

٧٨) **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** : د/ على سامى النشار الطبعة التاسعة ١٩٩٥ دار المعارف –مصر ج١.

٧٩) **نقد الثقافة الإلحادية :** د.أحمد عبد الرحمن إبراهيم : ، دار هجر ، القاهرة ط ١ ١٩٨٥

٢٤- Wahiduddin khan: God and the Life Hereafter، Good Wordbooks، New Delhi, India , 2005 .

الفهرس

مقدمة	٨٠١
المبحث الأول : وجود الله تعالى عند المتكلمين	٨٠٤
الدليل الأول : دليل الحدوث عند المتكلمين	٨٠٧
أولا: إثبات الأعراض	٨١٢
ثانيا :إثبات حدوث الأعراض	٨١٣
ثالثاً : استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض	٨١٤
رابعا": استحالة حوادث لا أول لها	٨١٥
الدليل الثاني: دليل قياس الغائب على الشاهد	٨١٧
الدليل الثالث : خلق الإنسان	٨١٩
الدليل الرابع : خلق الكون	٨٢٦
الدليل الخامس: دليل العناية والحكمة والاختراع	٨٣١
المبحث الثاني : أهم دوافع المنكرين لوجود الله تعالى والرد عليها	٨٣٦
دوافع الإنكار :	٨٣٨
أولا – الإلحاد	٨٣٨
أسس معارضة وجود الله :	٨٤١
الأساس الأول : البيولوجيا	٨٤٢
الأساس الثاني : علم النفس	٨٤٣
الأساس الثالث : التاريخ	٨٤٣
الرد على المعارضين :	٨٤٥
أولا نقد الأساس الأول الطبيعي	٨٤٥

ثانيا نقد الأساس الثاني النفسي	٨٤٦
ثالثا نقد الأساس الثالث التاريخي	٨٤٦
ثانيا : القول بالصدفة:	٨٤٨
بطلان القول بالصدفة	٨٥١
١ ـــــ الأنظمة المعقدة الموجودة في هذا العالم:	٨٦١
٢- التوازن المحكم الموجود في كل شيء:	٨٦١
٣- إيجاد هذه المخلوقات على نظام بديع.	٨٦١
استدلال الإمام الرازي بأحوال الأفلاك على وجود الله تعالى	٨٦٢
الخاتمة	٨٦٧
قائمة المراجع	٨٦٩
الفهرس	٨٧٦